السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ فِي سُطُورٍ

الشَّيخُ

مُوسَى بِن رَاشِد الْعَازِمِي

مُؤَلِفُ كِتَابِ

"اللُؤْلُؤْ الْمَكْنُون فِي سِيرَةِ النَّبِي الْمَأْمُون"

نَسَّقَهُ

أَبُو أَنَس عَبْدُاللَّه

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ

تزوج عبدالله بن عبدالمطلب بآمنة بنت وهب، وحملت منه.

تُوفي عبدالله، وآمنة حامل في الشهر الثاني بمولودها.

خلَّف عبدالله ميراثـًا لولده الذي لم يُولد: خمس من الإبل، وقِطعة غنم، وجَارية حَبشية اسمها بَركة، وهي أم أَيمن.

في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من عام الفيل وَلَدت آمنة بنت وهب مولودها العَظيم مُتهلِّلاً بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم، ولم يثبت أنه ظهر شيء لآمنة حينما ولِد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

في يوم سابعه صلى الله عليه وسلم خَتنه جده عبدالمطلب، وسمَّاه محمد صلى الله عليه وسلم.

أرضعت آمنة ولدها محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام وكانت قليلة الحليب، ثم أرضعته ثُويبة مولاة أبي لهب حليب ابنها مسروح، كانت ثُويبة أرضعت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبدالمطلب، وأبي سلمة بن عبد الأسد، ثم أرضعت حليمة السعدية رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أولادها: عبدالله، الشيماء، أنيسة.

لرسول الله سبعة إخوة من الرضاعة: حمزة، وأبو سلمة، وأبو سفيان، ومسروح، وعبدالله، والشيماء، وأنيسة، ولم يكن له إخوة لا من أبيه ولا من أمه.

وقع حَادث شق الصدر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عند حَليمة السَّعدية، شق جبريل صدره صلى الله عليه وسلم وأخرج قَلبه وغَسله بماء زمزم وأخرج العَلقة السوداء، ثم ختم جبريل ظهر رسول الله بخاتم النبوة، فليس للشيطان عليه سبيل، وأصبح معصومًا صلى الله عليه وسلم بأقواله وأفعاله.

خَاتم النبوة هو عِبارة عن لَحمة زائدة في ظَهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإزاء قلبه، حجمها حجم بيضة الحمامة.

رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أُمه آمنة بعد أن أكمل سنتين عند حليمة السعدية، وتُوفيت أمه آمنة وعمره صلى الله عليه وسلم سِت سنوات.

كفل عبدالمطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أمه آمنة. وتُوفي عبدالمطلب لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمان سنوات.

كَفَله عمه أبوطالب بعد وفاة جده عبدالمطلب.

رعى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنم.

شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حَرب الفجار، وحِلف الفُضُول.

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في تجارة خديجة رضي الله عنها مع غُلامها مَيسرة.

تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها، وكان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة وعمر خديجة رضي الله عنها أربعين سنة.

رُزق رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة: القاسم، وزينب، ورُقية، وأم كلثوم، وفاطمة، وعبدالله.

شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بِناء الكعبة على يد قريش وعمره خمسة وثلاثون سنة.

اتفقت قريش على جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع الحجر الأسود في مكانه.

حَفظ اللهُ رسوله صلى الله عليه وسلم من أدران الجاهلية: فلم يسجد لصنم، ولا شَرِب خمراً، ولا أتى فاحشة.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معروفـًا بالصدق والأمانة، وَصُولاً للرحم، وبكل خُلق كَريم.

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بدأت تلوح عليه آثار النبوة: الرؤيا الصالحة في النوم، الخلوة، تسليم الحجر والشجر، رؤيته نور الملائكة.

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة نزل عليه الوحي بسورة اقرأ وهو في غار حراء، وهي أول ما نزل من القرآن، أطبق على ذلك العلماء.

فَتر الوحي بعد نزول اقرأ أيامـًا، ثم نزل الوحي بعد ذلك بسورة المدثر، وهي أول ما نَزل من القرآن بعد فتور الوحي.

تنقسم الدعوة في حياته صلى الله عليه وسلم إلى:

مكية و مدنية، والمكية تنقسم إلى: سرية و جهرية.

بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا إلى الله سِراً، فأسلم أهل بيته زوجته خديجة وبناته، وعلي وزيد بن حارثة رضي الله عنهم جميعـاً.

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا سِراً من يثق به من خارج بيته فأسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

بدأ الناس يتسامعون بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم، فَسَارع الفقراء والمساكين في الدخول في الإسلام.

مَرت ثلاث سنوات على الدعوة السرية فأسلم عدد لا بأس به من الأوائل.

بعد ذلك نزل الأمر بالصَدع بالدعوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}[الحجر:٩٤].

صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جبل الصفا، وصدع للناس بدعوته.

أخبرهم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم للعالمين.

أول ردة فعل لقريش من دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرسلوا وفداً لعمه أبي طالب ليمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دعوته.

لم تُجْدِ محاولة قريش في وساطة أبي طالب ليمنع ابن أخيه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أرسلوا الوليد بن المغيرة ليعرض على رسول الله أموراً.

حاور الوليد بن المغيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فتأثر تأثراً كبيراً.

رَجع الوليد إلى قريش، نصحهم بإتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو تركه يدعوا في العرب.

رفضوا رأيه، فوصف الوليد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالساحر.

نزل في الوليد بن المغيرة آيات من سورة المدثر تبشره بالنار، قال تعالى: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا...} الآيات.

أسلم عبدالله بن أم مكتوم الأعمى رضي الله عنه في هذه الفترة، فصار مؤذن الإسلام بعد بلال رضي الله عنه.

أساليب قريش في محاربة الدعوة:

إثارة الشبهات حول القرآن، معارضة القرآن، مساومات.

لم تُفلح قريش في مناقشتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فكرت قريش بأسلوب آخر وهو: تعذيب من أسلم، وكانت فتنة شديدة على الصحابة رضوان الله عليهم.

حمى الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعمه أبي طالب.

أَشد من عُذب من الصحابة على الإطلاق هو خَباب بن الأَرت رضي الله عنه.

قام أبوبكر الصديق رضي الله عنه بعمل جليل وهو:

شراء العبيد من الصحابة واعتاقهم، منهم: بلال وعامر بن فُهيرة.

بدأت قريش بعمل جديد وهو: الاستهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومن المستهزئين: الأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب وغيرهم.

استمرت قريش في إيذائها لمن آمن، واشتدت الفتنة على الصحابة، فأذن لهم رسول الله بالهجرة إلى الحبشة.

خَرجت مجموعة مُباركة من الصحابة أحد عشر رجلاً وأربعة نسوة متوجهين إلى الحبشة في أول هجرة في الإسلام.

من بين من خرج في هذه الهجرة الأولى إلى الحبشة عثمان بن عفان وزوجته رُقية، وكان أميرهم عثمان بن مَظعون رضي الله عن الجميع.

حديث: "إنهما – أي: عثمان ورُقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم – أول من هاجر بعد لوط وإبراهيم". رواه الحاكم وهو ضعيف.

نَزلت سورة النجم، وقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم بِصوتٍ عَالٍ عند الكعبة، ولما وصل إلى السجدة سَجد، وسجد معه المشركون من عَظمة الآيات.

وصل خبر سجود كفار قريش لمهاجري الحبشة مشوهـًا، وهو أن أهل مكة أسلموا فرجع عدد منهم إلى مكة.

أسلم حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه، وبعده أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقَوِيَ أمر الإسلام بهما.

لم يثبت شيء في كيفية إسلام عمر بن الخطاب، وقصته الشهيرة عندما ضرب أخته...إلخ، أخرجها ابن إسحاق بدون إسناد.

بدأت قريش تستخدم أسلوبـًا آخر وجديد مع النبي صلى الله عليه وسلم، وهو: الإغراء بالمال والنساء والمُلك، ويكف عن دعوته، فأرسلت قريش عتبة بن ربيعة ليُفاوض رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه الإغراءات، ولكن رفض رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك جملة وتفصيلاً.

تَعنتت قريش بعد ذلك وطلبت من رسول الله صلى الله عليه وسلم المُعجزات، رُؤية الملائكة، وجري الأنهار...إلخ.

عادت قريش مرة أخرى بالتنكيل والاضطهاد لمن آمن خاصة الفقراء.

أذِن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة الثانية إلى الحبشة.

عدد مهاجري الحبشة الثانية اثنان وثمانون رجلاً و ثمانية عشر امرأة.

كان أميرهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

كانت الهجرة الثانية إلى الحبشة أشق من سابقتها، ولقي المسلمون من قريش تعنيفـًا شديداً، ونالوهم بالأذى، في طريق الهجرة إلى الحبشة الثانية، نَهَشَة خالد بن حزام رضي الله عنه حيَّة فمات في الطريق.

لما رأت قريش أن أمر الإسلام في انتشار رَهيب اجتمعت على قرار جائر وظالم، وهو: كتابة صحيفة بمقاطعة بني هاشم وبني المطلب.

معنى المقاطعة لا يَشتري منهم أحد، ولا يَبِيعهم أحد، ولا يُجالَسون، ولا يُخالَطون، ولا يُتزوج منهم، ولا يُزوجهم أحد.

تجمع بني عبدالمطلب وبني هاشم في شِعب، فسُمي بشعب أبي طالب.

ظلت هذه المقاطعة ثلاث سنوات.

اشتد الأمر على مَن كان في شِعب أبي طالب، من الجوع والعطش، حتى ما كانوا يجدون ما يأكلون.

في فترة المقاطعة وُلِد حَبْر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنها في الشعب.

استطاع نفر من قريش ممن كانوا مُتعاطفين مع مَن في الشعب أن يدخلوا الكعبة ويُمزقوا هذه الصحيفة الجائرة.

تُوفي أبوطالب عم النبي صلى الله عليه وسلم بعد مقاطعة قريش.

عَرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة التوحيد وهو في نزعه الأخير ولم يُقدِّر الله له ذلك.

مات أبوطالب على الكُفر، وحَزن رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمِّه، وقال: "لأستغفرنَّ لك مالم أُنه عن ذلك"، فنزل قوله تعالى: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أهون أهل النار عذاباً أبوطالب، وهو مُنتعل بنعلين يَغلي منهما دماغه" رواه مسلم.

تُوفيت خديجة بنت خُويلد رضي الله عنها بعد أبي طالب، ودُفنت في الحُجون في مَقابر مكة ولم تكن صلاة الجنازة شُرعت إذْ ذاك.

قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "بشِّر خديجة ببيت في الجنة من قَصب لا صَخب فيه ولا نَصب" متفق عليه. وقال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "هذه خديجة قد أتتك، فإذا هي أتتك فأقرأها السلام من رَبِّها ومِنِّي" متفق عليه.

حَزن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وفاة عمِّه أبي طالب، وزوجته خديجة، ولم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم سَمَّى هذا العام بعام الحُزن.

عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة رضي الله عنها بعد وفاة خديجة رضي الله عنها، وكانت أول زوجة عقد عليها بعد خديجة.

وعقد رسول الله صلى الله عليه وسلم على سَودة بنت زَمعة رضي الله عنها، وهي أول امرأة دخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خديجة.

انفردت سودة رضي الله عنها بالنبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنوات تقريباً، وكانت من أشد الناس تمسكاً بأمر النبي صلى الله عليه وسلم.

اشتدت قريش بالأذى على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبي طالب، فتجرأ عليه السُّفهاء، وما كان في حياة أبي طالب يتجرأ عليه أحد.

قال رسول صلى الله عليه وسلم: "ما نَالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب" رواه البيهقي في دلائل النبوة بإسناد صحيح.

أُلقي على رسول الله صلى الله عليه وسلم سَلَا الجَزور – وهي المشيمة – ووَطِئ عقبة بن أبي معيط قبَّحه الله على عنق النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد.

حاول أبو جهل لعنه الله بزعمه أن يطأ عُنُق النبي صلى الله عليه وسلم إذا سجد، فحمى الله نبيِّه صلى الله عليه وسلم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد أُوذيت في الله، وما يُؤذى أحد، وأُخفتُ في الله، وما يُخاف أحد" رواه ابن ماجه.

استأذن أبي بكر الصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة بسبب شِدة البلاء في مكة، فأذِن له النبي صلى الله عليه وسلم.

خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه متوجهـًا للحبشة، فلما وصل إلى منطقة برك الغِماد لقية رجل يُقال له: ابن الدُّغُنَّة سيد قبيلة القارة، فأجار أبوبكر الصديق رضي الله عنه، وقال له: ارجع فاعبد ربك في مكة، فلم تُنكر قريش.

ضاقت قريش ذرعـًا بجوار ابن الدُّغُنَّة لأبي بكر الصديق، لأن أبا بكر الصديق أخذ يجهر بالقرآن.

قال ابن الدُّغُنَّة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: لا تجهر بالقرآن، فرفض أبو بكر رضي الله عنه، ورَد جِوار ابن الدُّغُنَّة، وبقي أبوبكر رضي الله عنه بمكة.

اشتد الأمر على النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، فخرج إلى الطائف ماشيـًا على قَدميه، يدعوهم إلى الإسلام.

كان استقبال أهل الطائف للنبي صلى الله عليه وسلم الضرب بالحجارة، خاصة على أقدامه الشريفتين حتى نزل الدم منهما.

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف مهمومـًا على وجهه، فلم يستفق إلا وهو في قَرن المنازل.

نَزل جبريل عليه السلام ومعه مَلَك الجبال على رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخيره بهلاك مكة، أو يَصبر، فاختار الصبر.

رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة، ودخلها بجوار المطعم بن عَدِي.

جاءت حَادثة الإسراء والمعراج تثبيتًا وتكريمًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أَعقاب سِنين طويلة من الدعوة.

ذكر الله تعالى قصة الإسراء في سورة الإسراء، وذكر سبحانه قصة المعراج في سورة النجم.

تعتبر رحلة الإسراء والمعراج من أعظم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، التي أكرم الله بها نبيَّه صلى الله عليه وسلم، قِصّتها تمَّت في أقل مِن ليلة.

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العشاء ورجع قبل الفجر. فِعلاً معجزة لا يستطيع أحد أن يتخيَّلها.

بدأت هذه الرحلة عندما جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرج به من بيته في مكة إلى الكعبة.

عند الكعبة شق جبريل عليه السلام صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج قلبه وغسله بماء زمزم وملأه إيمانًا وحكمة ثم رده وخاط صدره الشريف صلى الله عليه وسلم.

ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم البُراق – وهي دابة – معه جبريل عليه السلام.

ماهي إلا لحظات حتى وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل إلى المسجد الأقصى.

فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الأقصى مع جبريل عليه السلام وجد أمراً عظيماً.

أحيا الله له جميع الأنبياء والمرسلين.

عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبي، أما عدد المرسلين فثلاث مائة وخمسة عشر رسول، جاء ذلك في حديث أبي ذر رضي الله عنه الذي أخرجه ابن حبان في صحيحه.

فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل المسجد الأقصى أُقيمت الصلاة، فقدَّم جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون إماماً في الصلاة بأئمة الخَلق.

أي مكانة ومنزلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون إماماً بأئمة الخلق عليهم الصلاة والسلام.

فلما فرغ رسول الله من صلاته بالأنبياء والمرسلين جيء بالمعراج - وهو سُلَّم - لكن لا يعلم شَكله وقدره إلا الله سبحانه.

رَكِب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل المعراج فإذا هي لحظات فوصل إلى السماء الدنيا.

فَفُتح لهما ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحوالها الشي العجيب.

رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في السماء الدنيا أبو البشر آدم عليه السلام.

ورأى حال أَكَلة أموال اليتامى ظلمـًا والعياذ بالله، وحال المغتابين، وحال الزُناة، وحال أكلة الربا، نعوذ بالله من هذه الأعمال.

ثم صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل إلى السماء الثانية فرأى فيها: ابني الخالة يحيى بن زكريا، وعيسى بن مريم عليهما السلام.

ثم صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل إلى السماء الثالثة، فرأى فيها: يوسف عليه السلام، قال رسول الله عنه: "أعطي شَطر الحُسن".

ثم صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل عليه السلام إلى السماء الرابعة، فرأى فيها: إدريس عليه السلام.

ثم صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل عليه السلام إلى السماء الخامسة، فرأى: هارون عليه السلام.

ثم صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل عليه السلام إلى السماء السادسة، فرأى فيها: موسى عليه السلام.

ثم صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل عليه السلام إلى السماء السابعة، فرأى فيها: أبو الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

قال إبراهيم عليه السلام لرسول الله: "أَقْرِئ أُمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التُربة عذبة الماء ...". وأن غِراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر".

بعد ما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقائه بأبيه إبراهيم عليه السلام، دخل مع جبريل عليه السلام الجنة، ورأى فيها مشَاهد كثيرة.

رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة: قصراً لعمر بن الخطاب، وجارية لزيد بن حارثة، فأخبرهما بذلك، و رأى نَهر الكوثر.

و رأى النار يحطم بعضها بعضـًا نعوذ بالله منها، وأجارنا منها، ورأى مالك خازن النار عليه السلام.

ثم ذهب جبريل عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أطراف السماء السابعة، ثم توقف جبريل عليه السلام، وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا محمد تقدَّم، فو الله لو تقدمت خطوة واحدة لاحترقت".

فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصل إلى موضع لم يَصل إليه لا بَشَر ولا مَلَك.

وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضع سَمع فيه صَريف الملائكة التي تكتب أقضية الله سبحانه، تَكْرِمَت الله لنبي هذه الأُمة صلى الله عليه وسلم.

هُناك في هذا المكان الطاهر العظيم كلَّم الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وفرض عليه وعلى أُمته الصلوات الخمس.

مَنح الله هذه الأُمة: فرض الصلوات الخمس، وغُفر لكل مسلم الكبائر، يعني لا يُخلَّد في النار، وأُعْطِيت خواتيم سورة البقرة.

بعد ما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلام الله له رجع إلى جبريل عليه السلام، ثم رجع إلى المسجد الأقصى وركب البراق وعاد إلى مكة.

كل هذه الرحلة العظيمة وتفاصيلها حدثت في أقل من ليله، عرفتم الآن أنها معجزة عظيمة، ولذلك خلَّد الله ذكرها في كتابه الكريم.

نزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الإسراء والمعراج بيوم ليُبيِّن له أوقات الصلوات الخمس.

فُرضت الصلوات الخمس في الإسراء والمعراج ركعتين لكل صلاة إلا المغرب كانت ثلاث ركعات.

كانت القبلة إلى بيت المقدس، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى جعل الكعبة بين يديه فيُصيب القبلتين.

طَلبت قريش من النبي صلى الله عليه وسلم معجزة ملموسة، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرأيتم إن شققت لكم القمر نصفين تؤمنون"، قالوا: نعم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه جلَّت قدرته أن يشق له القمر نصفين، فشق الله سبحانه القمر نصفين وقريش ينظرون، فلما رأت قريش هذه المعجزة الباهرة، قالوا: والله إنك ساحر، فكذَّبت

قريش هذه المعجزة العظيمة والتي لا يُنكرها إلا جاحد. فأنزل الله: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢)}.

عند ذلك بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُفكر في الدعوة في قبائل العرب في موسم الحج، لعل قَبِيلَةً تؤمن به وتَنصره.

كان أبو لهب وأبو جهل قبَّحهما الله يتناوبون على تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يدعوا في قبائل العرب.

اختلف موقف قبائل العرب تُجاه دعوته صلى الله عليه وسلم، منهم من تَبرأ منه، ومنهم من طَمِع بالخلافة بعده، ومنهم من سكت.

في العام الحادي عشر للبعثة في موسم الحج التقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بستةِ نَفر من الخزرج أراد بهم الله خيرا، جلس إليهم صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإسلام، فأسلم هؤلاء النفر بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهم: أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وقُطبة بن عامر، وعُقبة بن عامر، وجابر بن عبدالله.

رجع هؤلاء النفر إلى المدينة وذكروا لقومهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم.

لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذِكر للنبي صلى الله عليه وسلم.

في العام الثاني عشر للبعثة في موسم الحج قدم اثنى عشر رجلاً من الأنصار للحج.

التقى وفد الأنصار المكون من اثنى عشر رجلاً بالنبي صلى الله عليه وسلم وبايعوه بيعة العَقبة الأولى، وكانت البيعة على السمع والطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المَنشط والمَكره والعُسر واليُسر والنُّصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قَدِم إليهم المدينة.

أما وصف بيعة العقبة الأولى ببيعة النساء فإنه وَهْمٌ من بعض الرواة، ولم يكن للنساء ذكر في هذه البيعة ولا في بنودها.

لما أراد وفد الأنصار الرجوع إلى المدينة بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عُمير رضي الله عنه ليُفقِّه الأنصار في الدين.

أسلم على يَد مُصعب رضي الله عنه سَيدا بني عبد الأشهل سعد بن مُعاذ، وأُسيد بن حُضير رضي الله عنهما.

أقام مصعب في دار أسعد بن زُرارة يدعوا إلى الإسلام حتى لم تَبق دار من دور الأنصار إلا ودخلها الإسلام.

في العام الثالث عشر للبعثة خرج ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من الأنصار لملاقاة النبي صلى الله عليه وسلم في موسم الحج لإبرام أعظم اتفاق في تاريخ الإسلام.

جرت اتصالات سرية بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الثلاثة وسبعون رجلاً من الأنصار على أن يجتمعوا في أواسط أيام التشريق في الشعب الذي عند العقبة.

في الليلة الموعودة اجتمع النبي صلى الله عليه وسلم معهم لإبرام البيعة الكُبرى التي عُرفت ببيعة العقبة الثانية.

كانت بنود البيعة: السمع والطاعة للنبي صلى الله عليه وسلم في العسر واليسر، وحمايته ونصرته صلى الله عليه وسلم إذا قَدِم عليهم المدينة.

فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: وما لنا إن نحن وَفَّينا بالبيعة ؟ قال صلى الله عليه وسلم: لكم الجنة، فوافقوا بالإجماع.

أول من بايع النبي صلى الله عليه وسلم هو: البراء بن معرور رضي الله عنه، ثم تتابع الناس وهم رُؤوس الأنصار.

مِن أوهام ابن إسحاق في السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع الأنصار في هذه البيعة على الجهاد، وهذا من أوهامه على جلالة قدره.

تابع ابن هشام ابن إسحاق على ذلك، وهذا من أوهامهما رحمهما الله، فإن الجهاد لم يُفرض إلا في السنة الأولى للهجرة.

هكذا تمت هذه البيعة العظيمة بيعة العقبة الثانية، والتي كانت سبباً في الهجرة إلى المدينة لبناء الدولة الإسلامية.

قال كعب بن مالك: "لقد شهدت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أُحب أن لي بها مَشهد بدر".

لما رجع الأنصار إلى المدينة بعد بيعة العقبة الثانية طابت نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد جعل الله له مَنَعة وقَومـًا وهم الأنصار.

أَمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بوجوب الهجرة إلى المدينة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُمِرتُ بقَريَةٍ تَأكُلُ القُرَى يَقُولُونَ يَثرِب وهيَ المدينَةُ تَنفِي النّاسَ كَمَا يَنفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيد".

خرج الصحابة رضي الله عنهم أرسالاً - أي جماعات - مُتخفِّين، مُشاة ورُكبانـًا، وأقام هو ينتظر الإذن له من الله بالهجرة.

قال البراء بن عازب: أول من قدم علينا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مُصعب بن عُمير وابن أم مكتوم، ثم جاء عَمَّار، وبلال، وسعد.

لم تكن هجرة الصحابة سهلة هَيِّنة، بل كانت صعبة بحيث كانت قريش تضع كل العراقيل للحيلولة عن هجرة الصحابة.

وهاجر أبو سلمة بن عبد الأسد، وعامر بن ربيعة ومعه زوجته ليلى بنت أبي حثمة، وهاجر بني جحش.

وهاجر عمر بن الخطاب ليلا مُتخفي مع عَيَّاش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص، أخرج ذلك ابن اسحاق في السيرة بإسناد صحيح.

وأما قصة هجرة عمر بن الخطاب علانية، وقوله: "من أراد أن تثكله أمه أو يُيَتَّم ولده..."إلخ. فهي رواية ضعيفة لا تثبت.

لم يمض شهران على بيعة العقبة الثانية حتى لم يبق بمكة أحد من المسلمين إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وأهله أو عاجز عن الهجرة.

تأكد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه لم يبق أحد من أصحابه إلا وهاجر إلى المدينة إلا رجل محبوس أو مريض أو ضعيف عن الخروج.

كان أبوبكر الصديق كثيراً ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تعجل، لعل الله يجعل لك صاحبـًا".

جاء الإذن من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة، وأن يكون صاحبه في هذه الهجرة هو أبوبكر الصديق رضي الله عنه.

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه بالهجرة، وأنه سيكون رفيقه فيها، فَجهَّز أبوبكر الصديق ناقتين له ولرسول الله صلى الله عليه وسلم.

اجتمع كفار قريش في دار الندوة، واتفقوا على أمر جائر وهو قتل النبي صلى الله عليه وسلم، وأعلنوا في ذلك جائزة مائة ناقة لمن يقتله.

حمى الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم من مؤامرة قريش، وأخبره بهذه المؤامرة.

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه وتَوجَّها إلى غار ثَور.

اختبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم و أبوبكر رضي الله عنه في الغار ثلاثة أيام، وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تأتيهم بالطعام كل يوم.

بحث الكفار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل مكان فلم يجدوه، وتوجهت مجموعة منهم إلى غار ثور، ووقفوا على باب الغار.

لو نظر أحدهم إلى داخل الغار لرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبا بكر رضي الله عنه لكن الله صرف قلوبهم ولم يتكلف أحد منهم أن ينظر داخل الغار.

رواية نسج العنكبوت والحمامة أخرجها الإمام أحمد في مسنده بإسناد ضعيف.

ثم رجع هؤلاء الكفار، وحمى الله رسوله صلى الله عليه وسلم منهم..

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبوبكر الصديق رضي الله عنه من الغار بعد أن مكثا فيه ثلاثة أيام، وانطلقا متوجهين إلى المدينة.

وخرج معهما عامر بن فُهيرة مولى أبي بكر الصديق يخدمهما في الطريق وكان دليلهم إلى المدينة عبدالله بن أُريقط وكان مشركا.

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعامر بن فهيرة، والدليل عبدالله بن أريقط، وفي طريقهم إلى المدينة حدثت أحداث منها:

قصة سُراقة بن مالك، وإسلام الراعي، وقصة أم مَعبد الخزاعية، ولقاء الرسول صلى الله عليه وسلم بالزبير وطلحة وهما قادمان من الشام.

ومن الأحداث التي حدثت في هجرته صلى الله عليه وسلم لكنها لم تثبت بإسناد صحيح:

قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسراقة: "كيف بِك إذا لبست سِواري كِسرى".

وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه بحفظ الله ورعايته إلى منطقة قباء في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة أربعة عشر من بعثته، وهي السنة الأولى من الهجرة.

فلما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه إلى قباء وجد الأنصار في استقباله، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في قباء أربعة عشر ليلة وخلالها بنى مسجد قباء.

ولما كان يوم الجمعة ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وخَلْفَه أبوبكر متوجهين إلى المدينة.

أدركت رسول صلى الله عليه وسلم صلاة الجمعة في ديار بني سالم بن عوف، فصلاها في الوادي وادي رانُوناء، وهي أول جمعة يُصليها في الإسلام.

ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ناقته من ديار بني سالم بن عوف، وأرخى لها الزمام، حتى دخل المدينة في جو مشحون بالفرح والسرور.

وكان يومـًا تاريخيـًا مشهوداً، فقد كانت البيوت والسِّكَكُ تَرَتُّج بأصوات التحميد والتكبير.

قال أنس رضي الله عنه: "ما رأيت يومـًا قط أنور ولا أحسن من يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق المدينة - يعني بعد الهجرة - ".

قال البراء رضي الله عنه: ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة، حتى جعل الإماء يقلن: قدم رسول الله.

قال البراء رضي الله عنه: فصعد الرجال والنساء فوق البيوت وتفرق الغلمان والخدم في الطرق ينادون: يا محمد يا رسول الله.

قال أنس رضي الله عنه: لما كان اليوم الذي دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه المدينة أضاء منها كل شيء.

قال أنس رضي الله عنه: خَرَجت جَوارٍ يضربن بالدُّف وهُنَّ يَقُلْن:

نحن جوارٍ من بني النَجَّار

يا حَبَّذا محمد من جار

أما الأبيات الشهيرة:

طلع البدر علينا... من ثنيات الوداع

أخرجها البيهقي بإسناد ضعيف.

وأوردها الغزالي في الإحياء وأعلَّه الحافظ العراقي بقوله إسناده معضل، وضَعَّفه الحافظ ابن حجر في الفتح، وابن القيم في زاد المعاد.

قال القَسْطِلاني: وأشرقت المدينة بحُلُوله فيها صلى الله عليه وسلم، وسَرَى السُّرُورُ إلى القُلُوبِ.

بركت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم في موضع المسجد النبوي، وهذا المكان باختيار من الله، لأنه عليه بُني المسجد النبوي.

ونَزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي أيوب الأنصاري، حتى بُنِيت له حُجُراته صلى الله عليه وسلم.

فَحاز أبو أيوب أعظم الشرف بنزول النبي صلى الله عليه وسلم عليه.

كانت المدينة المنورة معروفة بالوباء، فأصاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها بلاء ومرض، وصرف الله ذلك عن رسوله صلى الله عليه وسلم.

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب أصحابه من البلاء والمرض دعا الله عز وجل أن يرفع الوباء عن المدينة المنورة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"اللهم حَبِّب إلينا المدينة كَحُبِّنا مكة أو أشدَّ، وصَحِّحْها، وبارك لنا في صَاعِها ومُدِّها".

بَنى النبي صلى الله عليه وسلم مجتمعه المدني على ثلاث قواعد هي:

١- بناء مسجده النبوي.

٢- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

٣- كتابة الصحيفة، قال ابن إسحاق: وكَتَبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابًا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرَّهم على دينهم وأموالهم، وشَرَطَ لهم، واشترط عليهم.

في شوال من السنة الأولى من الهجرة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها، فكانت أَحب نِسائه إليه صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها.

غَيَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم يثرب إلى:

طابة، المدينة، طيبة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله سَمى المدينة طابة" رواه مسلم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُمرتُ بقرية تأكل القُرىٰ، يقولون يثرب، وهي المدينة.." متفق عليه.

قال جابر بن سمرة رضي الله عنه: "كانوا يُسمون المدينة يَثرب، فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طَيبة".

شُرع الأذان في السنة الأولى للهجرة، وكل الروايات التي تقول إن الأذان شُرع في مكة قبل الهجرة، أو في الإسراء لا تثبت.

أسلم عبدالله بن سَلام اليهودي رضي الله عنه في السنة الأولى للهجرة، وكان من عُلمائهم، وكان إسلامه حُجَّة على اليهود.

لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجُل من بني غِفار عين يقال لها: رُومة.

وكان يبيع منها القِربة بِمُدّ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يشتري بئر رُومة بخير له منها في الجنة". فاشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه بماله الخاص، وسبَّلها للمسلمين.

لما فُرضت الصلوات الخمس في الإسراء والمعراج كانت كل صلاة ركعتين إلا المغرب فكانت ثلاث ركعات.

فجاء الوحي بزيادة ركعتين لصلاة الظهر والعصر والعشاء، فصارت أربع ركعات لكل منها، وثبت الأمر على ذلك.

أراد بنو سَلِمة أن يتركوا ديارهم - وكانت في أطراف المدينة بعيدة عن المسجد النبوي - ويقتربوا من المسجد النبوي.

فخشي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تَعْرَى المدينة، فنهاهم، وقال: "يا بني سَلِمة ديَارَكُم تُكْتَبْ آثارُكُم". فثبتوا في منازلهم.

لما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة جاءه الوحي بتشريع الجهاد، فأنزل الله: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} [الحج - ٣٩].

الغزوة هي كُل بَعْث خرج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه الشريفة سواء قاتل فيها أو لم يُقاتل.

غزى رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين غزوة، أولها غزوة الأَبواء وتسمى وَدَّان، وآخر غزوة غزاها هي غزوة تبوك.

أول سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بقيادة حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه، والهدف اعتراض قافلة لقريش.

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمه عُبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب في سرية، والهدف قافلة لقريش، وصار بينهما رمي بالنبال.

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في سرية ليعترض قافلة لقريش، ففرت القافلة.

أول من توفي بالمدينة من المسلمين بعد الهجرة، هو: كُلثوم بن الهِدْم رضي الله عنه وكان شيخا كبيرا.

في صَفر على رأس اثنى عشر شهرا من الهجرة، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول غزوة له، هي غزوة الأبواء وتُسمى ودّان لاعتراض قافلة لقريش.

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرا من هجرته، في غزوته الثانية وهي غزوة بَواط، لاعتراض قافلة لقريش.

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغزوة الثالثة وهي غزوة العُشيرة، وكانت في جُمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهر من مهاجره صلى الله عليه وسلم.

لم يقم رسول صلى الله عليه وسلم بعد العُشيرة إلا ليالي، ثم خرج في غزوة سَفَوَان وتُسمى أيضـًا غزوة بدر الأولى.

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن جحش رضي الله عنه في سَرية إلى منطقة نَخْلَة، والهدف اعتراض قافلة لقريش، فأدركوها.

فقُتل عمرو بن الحضرمي وهو أول كافر يُقتل في الإسلام، وأُسر عثمان بن عبدالله، والحكم بن كيسان وغنموا كل ما في القافلة.

فكان في سرية نَخْلَة بقيادة عبدالله بن جحش رضي الله عنه أول قَتيل، وأول أَسرى، وأول غنائم في الإسلام.

في النصف من رجب من السنة الثانية للهجرة جاء الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بتحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى الكعبة المشرفة.

في شعبان من السنة الثانية للهجرة جاء الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بفرض صيام رمضان فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة رمضانات لأنه توفي بداية سنة احدى عشر للهجرة.

وفي شعبان من السنة الثانية للهجرة جاء الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بفرض زكاة الفطر، وفُرضت قبل فرض زكاة الأموال.

وفي رمضان من السنة الثانية للهجرة وقعت غزوة بدرٍ الكُبرى، وهي يوم الفُرقان التي فَرَّق الله بها بين الحق والباطل.

غزوة بدر الكُبرى خَلَّد الله ذكرها في القرآن وخَصَّها الله بخصائص لم تكن لسواها ومن شهدها من الصحابة هم أفضل الصحابة.

غزوة بدر الكبرى نصر الله فيها نَبيَّه صلى الله عليه وسلم نصراً مؤزراً، وقَرَّ عَينه، وقَوِيت شوكة المسلمين.

تُوفيت رُقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها بعد غزوة بدر الكُبرى مباشرة، وكان زوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه، ورُزق منها ابنه عبدالله ومات صغيرا.

دخل على المسلمين أول عيد فِطر في الإسلام، وذلك في الأول من شوال من السنة الثانية للهجرة.

في السنة الثانية للهجرة تزوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه بفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها، فكان أطهر وأشرف زواج.

رُزق علي بن أبي طالب رضي الله عنه من فاطمة رضي الله عنها: الحسن، والحسين، ومُحسِّن، وأم كلثوم، وزينب، رضي الله عنهم.

في شوال من السنة الثانية للهجرة، وقعت غزوة بني قَينقاع، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستسلموا، فأجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة.

في ذي الحجة سنة اثنين للهجرة وقعت غزوة السَّويق، أغار أبو سفيان على المدينة فقتل رجلا من الأنصار، فخرج له رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائتي رجل.

في العاشر من ذي الحجة سنة اثنين للهجرة حضر عيد الأَضْحَى، وكان أول أَضْحَى رآه المسلمون، فضَحَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين.

في ذي الحجة سنة اثنين للهجرة تُوفي عثمان بن مظعون رضي الله عنه، وصلَّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودفن بالبقيع وهو أول مَن دُفن بها من المهاجرين.

في محرم سنة ثلاث للهجرة وقعت غزوة بَني سُليم وتسمى قَرْقَرْة الكُدْر، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائتين، لما بلغه جمعًا لبني سُليم.

في محرم سنة ثلاث للهجرة وقعت غزوة ذي أَمْر وتسمى غزوة غطفان، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اربع مائة، لما بلغه جمعـًا لغطفان.

في جمادى الآخرة سنة ثلاث للهجرة، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية بقيادة زيد بن حارثة رضي الله عنه، والهدف اعتراض قافلة لقريش فغنموها.

وفي ربيع الأول سنة ثلاث للهجرة تزوج عثمان بن عفان أم كُلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم، بعدما تُوفيت أختها رُقيَّة، ولم يرزق منها الولد.

في شعبان سنة ثلاث للهجرة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حَفصة بنت عمر بن الخطاب، وكانت زوجة لخُنَيْس بن حُذَافة رضي الله عنه، الذي توفي.

وفي رمضان تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت خُزيمة الهلالية، ولم تلبث عند النبي صلى الله عليه وسلم إلا شهرين أو ثلاثة حتى تُوفيت رضي الله عنها.

في النصف من شوال سنه ثلاث للهجرة وقعت غزوة أُحُد الشهيرة.

وتعتبر غزوة أُحُد من أصعب الغزوات التي مرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

في غزوة أُحُد كُسِرت أسنان النبي صلى الله عليه وسلم الأمامية، ودخل الْمِغْفَر في رأسه الشريف واشتد الأمر عليه فحفظه الله بنزول الملائكة.

غزوة أُحُد كانت اختباراً عظيمـًا للصحابة رضي الله عنهم في دفاعهم عن نَبيِّهم صلى الله عليه وسلم، فنجحوا فيه نجاحـًا باهراً رضي الله عنهم.

غزوة أُحُد سقط فيها سبعين شهيداً مِن الصحابة الكرام رضي الله عنهم على رأسهم سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة.

غزوة أُحُد ظهر فيها الحُب الحقيقي من الصحابة رضي الله عنهم لنبيِّهم صلى الله عليه وسلم، فبذلوا أرواحهم في سبيل حياته عليه الصلاة والسلام.

غزوة أُحُد كانت اختباراً حقيقياً ظهر فيها المؤمن الصادق وهم الصحابة رضي الله عنهم، والمنافق الكاذب وهم المنافقين على رأسهم ابن سلول.

في غزوة أحد أخذ أبو دجانة سيف رسول الله فوفَّى به، ونزلت الملائكة ساحة أرض المعركة، وغسَّلت الملائكة حنظلة بن أبي عامر رضي الله عنه.

غزوة أُحُد كانت مقدمة وتهيئة لموت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فثبَّت الله أصحابه عليه الصلاة والسلام رضي الله عنهم.

غزوة أُحد فيها من الدروس والعبر العظيمة وقد أبدع ابن القيم رحمه الله في كتابه زاد المعاد وهو يستنبط الدروس والعبر منها.

في محرم سنة أربعٍ للهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سلمة ومعه خمسين رجلا، ليعترض طُليحة بن خُويلد الذي جمع جمعاً لغزو المدينة.

لما رجع أبو سلمة من هذه السرية، انتفض جُرحه الذي أُصيب به يوم غزوة أُحُد، فمات رضي الله عنه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين".

في محرم سنة أربعٍ للهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن أُنيس، لقَتْل خالد بن سُفيان الهُذلي الذي جمع جموعاً عظيمة لغزو المدينة.

استطاع عبدالله بن أُنيس أن يَقْتُل خالد بن سُفيان الهُذلي، وبموته تفرقت الجُموع التي جَمعها لغزو المدينة.

فلما رجع عبدالله بن أُنيس إلى المدينة فرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحـًا عظيمـًا، وقال له: "أفلح الوجه".

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى عبدالله بن أنيس عصاه، وقال له: "آية – أي علامة – بيني وبينك يوم القيامة". فلما مات دُفنت معه.

في صفر سنة أربعٍ للهجرة، وقعت سرية الرجيع والتي راح ضحيتها عشرة من الصحابة، غَدر بهم بنو لحيان، فكانت مأساتها شديدة على النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي صفر سنة أربعٍ للهجرة وقعت فاجعة بئر مَعونة أو سرية القُرَّاء راح ضحيتها سبعين رجلا من الأنصار، غدر بهم قبائل رِعْل وذَكوان وعُصية.

فاجعة بئر معونة من أعظم المصائب على المسلمين، ولذلك قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً كاملاً يدعو على القبائل التي غدرت بأصحابه رضي الله عنهم.

في ربيع الأول سنة أربعٍ للهجرة وقعت غزوة بني النَّضير، وهي الغزوة الثانية مع اليهود، وسببها أنهم أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم.

فخرج لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم في ديارهم، فقذف الله الرعب في قلوبهم، وصالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على الجَلاَء.

معنى الجَلَاء إخراجهم من أرضهم، واشترط عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحملوا ما استطاعوا من متاعهم إلا السلاح.

نزلت سورة الحشر كاملة في غزوة بني النَّضير تحكي تفاصيل هذه الغزوة، ولن تستطيع فهم الآيات إلا إذا درست غزوة بني النضير.

في شعبان سنة أربعٍ للهجرة وقعت غزوة بدر الآخرة، وتُسمى بدر الصُغرى لعدم وقوع قتال فيها.

وتُسمى غزوة بدر الموعد لأن أبا سفيان واعد النبي صلى الله عليه وسلم بعد غزوة أُحُد على اللقاء والقتال في العام المقبل في بدر.

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ألف وخمسمائة رجل، وخرج أبو سفيان بألفي رجل، وكان خائفاً وكارهاً للخروج.

وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ينتظر أبا سفيان، فلما بلغ أبو سفيان عُسْفَان خاف وقذف الله الرُّعب في قلبه، فرجع وتفرق من معه.

في شوال من السنة الرابعة من الهجرة، تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة، وذلك بعد أن انقضت عدتها من زوجها، كانت أم سلمة رضي الله عنها موصوفة بالعقل البالغ، والرأي الصائب وهي آخر من تُوفي من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، تُوفيت سنة احدى وستين من الهجرة.

تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش في السنة الرابعة من الهجرة، وكانت زوجة زيد بن حارثة ابن النبي صلى الله عليه وسلم بالتبني، فطلقها ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان المراد من زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش رضي الله عنها، إبطال عادة التبني والقضاء على هذه العادة الجاهلية.

مكثت زينب رضي الله عنها عند زيد بن حارثة رضي الله عنه قرابة سنة، ثم طلقها، فلما انقضت عدتها تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الذي زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب رضي الله عنها هو الله سبحانه فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بدون إذن.

قال تعالى: {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا} فكانت زينب بنت جحش رضي الله عنها تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وتقول: "زَوَّجكُن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات".

وأولم النبي صلى الله عليه وسلم حين دخل بزينب بنت جحش رضي الله عنها، قال أنس رضي الله عنه: أَوْلَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بَنَى بزينب ابنة جحش رضي الله عنها فأشبع الناس خُبْزاً ولحماً.

ونزل الحجاب في قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم، والمقصود بالحجاب هُنا لأمهات المؤمنين، أنه لا يُكلمهن رجلٌ غريب إلا من وراء سِتر. كانت زينب بنت جحش رضي الله عنها من أفضل النساء ديناً وورعاً وجوداً ومعروفاً.

قالت عائشة رضي الله عنها: لَم أَرَ امرأة قط خيراً في الدين من زينب.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنسائه: "أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا"، والمقصود بطول اليد الصدقة، فكانت زينب أطولهن يدا في الصدقة.

تُوفيت زينب بنت جحش رضي الله عنها سنة عشرين من الهجرة في خلافة عمر رضي الله عنه، وهي أول نساء النبي صلى الله عليه وسلم وفاة بعده ودفنت بالبقيع.

في شعبان من السنة الخامسة للهجرة وقعت غزوة بني المصطلق، وتُسمى المريسيع وسببها: أن الحارث بن أبي ضرار جمع جموعـًا لغزو المدينة.

فخرج لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبع مائة رجل من أصحابه رضي الله عنهم، فأغار عليهم وقتل مقاتليهم وسَبى ذراريهم.

من بين السبايا جُويرية بنت الحارث ابنة سيد بني المصطلق، فعرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ويتزوجها، فأسلمت وتزوجها صلى الله عليه وسلم.

وبزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من جُويرية أطلق الناس كل سبايا بني المصطلق، لأنهم صاروا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قالت عائشة رضي الله عنها: "ما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جُويرية".

كانت أم المؤمنين جُويرية رضي الله عنها من الذاكرات الله كثيرا، وتُوفيت سنة ست وخمسين من الهجرة، وعمرها خمس وستون سنة.

خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم عدد كبير من المنافقين على رأسهم عبدالله بن أبي بن سلول قبحه الله، وكان هدفهم إثارة الفتنة بين المسلمين.

حدث حادثان عظيمان في غزوة بني المصطلق: إثارة الفتنة بين المهاجرين والأنصار، والطعن بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك.

حاول ابن سلول ومن لَفَّ لَفَّه من المنافقين الطعن بعرض أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكانت فتنة عظيمة.

بَرَّأ الله سبحانه وتعالى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من فوق سبع سماوات فأنزل آياتٍ تُتلى إلى يوم القيامة.

قال النووي: براءة عائشة رضي الله عنها من الإفك قطعيَّة بنص القرآن العزيز، فلو تشكَّك فيها إنسان صار كافراً مرتداً بإجماع المسلمين.

قصة الإفك فيها من الدروس العظيمة التي لا بُد أن يقف عليها المسلم، استنبط منها الحافظ ابن حجر أكثر من سبعين فائدة.

في شوال من السنة الخامسة من الهجرة وقعت غزوة الخندق، وتُسمى أيضا غزوة الأحزاب، وسببها تحزيب اليهود العرب على غزو المدينة.

تجمع عشرة آلافٍ من الأحزاب يُحزبهم ويُحرضهم اليهود على غزو المدينة، وكان قائد الأحزاب هو أبو سفيان صخر بن حرب.

أشار سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيه، وكانت غزوة الخندق أول مشَاهد سلمان رضي الله عنه.

عدد جيش النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل عشرة من أصحابه رئيسا، وأعطاهم مسافة أربعين ذراعا يحفرونها.

تم إنجاز حفر الخندق قبل وصول الأحزاب، فلما وصل الأحزاب إلى المدينة وإذا بهم يرون الخندق قد حال بينهم وبين دخول المدينة.

ظهرت في غزوة الخندق معجزات للنبي صلى الله عليه وسلم منها: تكثير الطعام القليل، وكسر الصخرة الضخمة بثلاث ضربات، والبِشارة بفتح فارس والروم.

نقض يهود بني قريظة العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، واشتد الأمر على المسلمين، وعَظُم البلاء عليهم، وبلغت القلوب الحناجر.

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم رَبه تفريج الأمر فاستجاب له ربه وبعث على الأحزاب الريح فشتت أمرهم وأنزل الملائكة فألقت الرعب في قلوبهم.

رجع الأحزاب إلى ديارهم خائبين، ورجع الأمن والأمان إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن فرَّق الله أمر الأحزاب بالريح والرُّعب.

رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتِهِ بعد غزوة الخندق أو الأحزاب، فجاءه جبريل عليه السلام يأمره بقتال يهود بني قريظة.

لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحه وخرج وقال لأصحابه: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُصَلِّينَّ العصر إلا في بَني قريظة".

انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بَني قريظة، وحاصرهم، فاشتد عليهم الحصار، وألقى الله الرُّعب في قلوبهم، فاستسلموا جميعـًا.

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُوثَّق الرجال، وكانوا أربع مائة مقاتل، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحُكْم فيهم لسعد بن معاذ رضي الله عنه.

جيء بسعد بن معاذ محمولا على حِمار، وكان أُصيب في غزوة الخندق، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جعلْتُ حُكْم بني قُريظة بِيدك".

فقال سعد رضي الله عنه: "أحكمُ فيهم أن تُقتل مُقاتلتهم، وتُسبى ذراريهم، وتُقسم أموالهم".

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد حكمْتَ فيهم بحُكْم الله من فوق سبع سماوات".

ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنفيذ الحُكم فيهم.

بعد ما نُفِّذَ حُكم سعد بن معاذ في يهود بني قريظة، وأقرَّ الله عَينه، وشَفى صدره منهم، انفجر جُرحه فمات رضي الله عنه.

فلما مات سعد بن معاذ رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اهْتَزَّ عَرشُ الرحمن لموت سعد بن معاذ". متفق عليه.

لما فُرِغ من تكفين سعد بن معاذ رضي الله عنه حمله الناس لقبره، وحملته معهم الملائكة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد هبط يوم مات سعد بن معاذ سبعون ألف ملَكٍ إلى الأرض لم يَهبطوا قبل ذلك". رواه البزار بإسناد جيد.

حَزن المسلمون لموت سعد بن معاذ رضي الله عنه حُزْنـًا شديداً، حتى بَكى أبوبكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

قالت عائشة: "ما كان أحدٌ أشَدَّ فَقْداً على المسلمين بعد رسول الله وصاحبيه - أي أبوبكر وعمر - من سعد بن معاذ".

خلَّد الله سبحانه وتعالى غزوة الخندق في كتابه الكريم فأنزل آيات كثيرة من سورة الأحزاب، من بداية الآية التاسعة.

أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُوجه حملات تأديبية إلى القبائل التي شاركت في غزوة الخندق، ويَشنُّ عليها السَّرية تلو السَّرية.

في ربيع الأول سنة سِتٍ للهجرة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني لِحيان، فَشنَّ عليهم هجوما فتفرقوا في كل مكان.

في ربيع الأول سنة سِتٍ للهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية بقيادة عُكاشة بن مِحصن لبني أسد ففروا منه وتفرقوا.

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سَرية بقيادة محمد بن مسلمة لبني ثعلبة من غطفان، وذلك في ربيع الآخر سنة سِتٍ للهجرة، وحدث بينهم قتال.

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية بقيادة أبي عبيدة بن الجراح وذلك في ربيع الآخر سنة سِتٍ للهجرة إلى ذي القَصَّة، فأغار عليهم وَغنِم منهم.

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في سرية إلى بني سُليم، وغَنِم منهم، ورجع سالما بمن معه، وذلك في ربيع الآخر سنة سِتٍ للهجرة.

في جمادى الأولى سنة سِتٍ للهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية بقيادة زيد بن حارثة، والهدف اعتراض قافلة لقريش، فأدركوها.

وأخذوا كل ما فيها، وأَسَروا كل من فيها، ومن بين الأسرى أبو العاص بن الربيع زوج زينب رضي الله عنها بنت النبي صلى الله عليه وسلم، وكان مازال مشركا.

أجارت زينب رضي الله عنها بنت النبي صلى الله عليه وسلم زوجها أبا العاص بن الربيع الذي مازال مشركـًا، فأطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الأسرى وردوا عليه ماله.

رجع أبو العاص بن الربيع إلى مكة وأرجع لأهل مكة أموالهم التي كانت في القافلة، ثم أسلم، وهاجر إلى المدينة رضي الله عنه.

في ذي القعدة سنة سِتٍ للهجرة أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يُريد العمرة وأنه رَأى رُؤيا في منامه أنه دخل مكة هو وأصحابه آمنين ومُحلقين.

فرح الصحابة بذلك، وتهيؤوا للخروج معه، واستنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعراب من البوادي ممن أسلم ليخرجوا معه.

فأبطأ عليه الأعراب، واعتذروا بأعذار واهية، كشفها الله في القرآن في سورة الفتح الآية الحادية عشر وما بعدها.

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة مُتوجها إلى مكة، ومعه ألف و أربع مائة رجل من أصحابه، ومعه زوجته أم سلمة هند بنت أبي أمية رضي الله عنها.

ولم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحا إلا سلاح المسافر وهي السيوف في القُرُب – وهي الأغماد –، وساق معه الهدي سبعين ناقة.

وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مِيقات ذي الحُليفة، وهو مِيقات أهل المدينة، ولبس إحرامه ولَبَّى بالعُمْرَة، وتوجه إلى مكة.

وصل إلى قريش خبر قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة لأداء العُمْرَة، فقالوا: "والله ما يدخلها علينا".

وجَهَّزوا كتيبة بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه – وكان مازال مشركـًا – لصَدِّ المسلمين عن دخول مكة.

وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منطقة عُسْفان، وإذا بكتيبة خالد بن الوليد أمامه، وحانت صلاة العصر.

فنزل الوحي بتشريع صلاة الخوف، فكانت أول صلاة خوف صُليت في الإسلام كانت في غزوة الحُديبية.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تَفادى الاصطدام مع خيل الكفار، فقال لأصحابه: "مَنْ يَخرُج بِنا على طريق غير طريقهم".

فقال رجل من الصحابة: أنا يا رسول الله، فسلك بهم طريقا وعِراً حتى استطاع أن يَلتف خلف كتيبة المشركين.

وصل المسلمون إلى ثَنِيَّة المِرار، وهناك بركت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم، فلم تتحرك، حاولوا فيها ولكن دون جَدوى.

ثم زَجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناقته فوثبت، وسار حتى نزل بأقصى الحُديبية، فلما اطمأن بالحُديبية جاءه بُديل بن وَرْقَاء في نفر.

وقال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن قريشا قد خرجت لقتالك وصدك عن البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّا لم نجيء لقتال ولكنَّا جئنا معتمرين".

بعثت قريش عددًا من رسلها للنبي صلى الله عليه وسلم، وهدفها من ذلك التأكد من سبب مجيء النبي صلى الله عليه وسلم لمكة، هل للقتال أم العمرة ؟.

فأرسلت قريش: مِكْرَزُ بن حَفْص، والحِلْسُ بن عَلْقَمة وعُرْوَةُ بن مَسعود الثَّقَفي.

رجع رُسُلُ قريش بالخبر أن المسلمين جاؤوا لأداء العمرة ولم يجيئوا للقتال، والدليل على ذلك أنهم مُحرمين وساقوا الهَدْيَ.

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أرسل عثمان بن عفان إلى أبي سفيان سَيِّد مكة يُخبره أنهم لم يأتوا للقتال وإنما للعمرة.

فلما وصل عثمان إلى أبي سفيان، رَحَّب به، وقال له: امكث عندنا حتى نَرى رأينا، فوصل الخبر للنبي صلى الله عليه وسلم أن عثمان قُتِل.

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أمر أصحابه للبيعة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا تحت شجرة، وعُرفت هذه البيعة" ببيعة الرضوان".

سُميت بذلك لأن الله سبحانه رضي عنهم، فقال سبحانه: {لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ}.

عدد من شَهد "بيعة الرضوان" على أرجح الروايات ألف و أربع مائة رجل من خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار.

بعضهم بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت، وبعضهم بايعه على عدم الفرار من المعارك، وهي أعظم بيعة وقعت في الإسلام.

يَكفي في فضل "بيعة الرضوان" أن الله رضي عن أصحابها.

جاء في فضل من شهد بيعة الرضوان أحاديث، منها:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليدخُلنَّ الجنة من بايع تحت الشجرة". رواه الترمذي.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل النار أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة". رواه الإمام أحمد في مسنده.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل النار إن شاء الله مِن أصحاب الشجرة أَحَدٌ، الذين بايعوا تحتها " رواه الإمام مسلم.

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ليدخُلنَّ حاطبٌ النار، فقال: "كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدراً والحديبية". رواه مسلم.

قال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية: "أنتم خير أهل الأرض" متفق عليه.

ثم بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه نيابة عن عثمان رضي الله عنه، فضرب بيده اليُمنى على اليُسرى وقال: "هذه لعثمان"، وبهذا نال عثمان رضي الله عنه شَرف هذه البيعة العظيمة، قال أنس: فكانت يَد رسول الله لعثمان خيراً من أيدينا لأنفسنا.

لما علمت قريش ببيعة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خافوا، ورغبوا بالصلح، فأرسلوا سُهيل بن عمرو يفاوض رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تم الاتفاق على التالي:

يَرجع المسلمون هذا العام فلا يَدخلون مكة، ويَدخلونها العام القادم، فَيُقيموا فيها ثلاثة أيام.

من أحب من القبائل أن يَدخل في حِلْف وعهد محمد - صلى الله عليه وسلم - فله ذلك، ومن أحب أن يَدخل في حِلْف وعقد قريش فله ذلك.

من أتى محمدا صلى الله عليه وسلم مسلما يُردُّ إلى قريش، ومن أتى قريشا مُرتدا عن الإسلام لا يُرد إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا أشد بند على المسلمين.

وَضْعُ الحرب بين الطرفين - المسلمين وقريش - عشر سنين، يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض.

بعدما تم الصلح، واتفق الطرفان عليه، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتَحَللِ من إحرامهم، بنحر هَديهم وحَلْقِ رؤوسهم.

فمن شدة غَضب الصحابة على عدم دخولهم مكة لأداء العمرة لم يَقُم منهم أحد، ولم يَتحلل منهم أحد.

ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها وأخبرها خبر الصحابة، وكيف أنهم لم يأتمروا أمره.

فقالت له رضي الله عنها: يا رسول الله أخرج عليهم ثم ادعُ حالقك، فليحلق لك، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم، فحلق رأسه الشريف خِراش بن أُمية رضي الله عنه، فلما رأى الصحابة ذلك عرفوا أن الأمر انتهى، فتحللوا رضي الله عنهم.

ثم نَحر رسول الله صلى الله عليه وسلم هَديه، ونحر الصحابة رضي الله عنهم، فهذه عُمرة الحديبية الشهيرة، والتي تم فيها الصلح مع قريش.

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من جيشه البالغ ألف و أربع مائة مقاتل من أصحابه إلى المدينة، فنزلت عليه سورة الفتح وهو في الطريق.

ففرح بها النبي صلى الله عليه وسلم فرحـًا عظيمـًا، وقال: "لقد أُنزلت علي آية هي أحبُّ إليَّ من الدنيا جميعـًا". رواه الإمام مسلم.

قال الله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢)}

قال الإمام الطحاوي: أجمع الناس أن الفتح المذكور في الآية {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} هو صُلح الحُديبية.

لماذا صُلح الحُديبية هو الفتح العظيم للإسلام ؟

من بعثته صلى الله عليه وسلم إلى الحُديبية سنة ست للهجرة تسعة عشر سنة كان عدد جيش النبي صلى الله عليه وسلم ألف و أربع مائة مقاتل.

ومن الحُديبية سنة ست للهجرة إلى فتح مكة سنة ثمان للهجرة سنتان أصبح عدد جيش النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة عشرة آلاف مقاتل.

فجهد تسعة عشر سنة من الدعوة أثمرت ألف و أربع مائة مقاتل.

وجهد سنتين من صُلح الحُديبية إلى فتح مكة أثمرت عشرة آلاف مقاتل، فما الذي تغير ؟

الذي تغير أن صُلح الحُديبية أوقف تشويه قريش للإسلام، فانطلق الدُّعاة في كل مكان يدعون بدون مضايقات من قريش.

التشويه والتضييق الذي كانت تمارسه قريش قبل صلح الحُديبية لتشويه صورة الإسلام جعل الناس تخاف وتهاب من الدخول في الإسلام.

وبعد صُلح الحُديبية انطلق الدعاة آمنين يُبينوا للناس عظمة هذا الدين، ويُسره ورحمته، فدخل الناس في دين الله أفواجاً.

صُلح الحُديبية حَيَّد قريش فتفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدوه اللدود يهود خيبر الذين كانوا السبب الرئيسي في جمع الأحزاب يوم الخندق.

فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهود خيبر، ولولا صُلح الحُديبية لساعدت قريش يهود خيبر بالمال والسلاح.

لما استقر الأمر بالرسول صلى الله عليه وسلم بعد صُلح الحُديبية، وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الفُرصة مُواتية للدعوة خارج نطاق الجزيرة العربية.

فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مُلوك العرب والعَجَم، وكتب إليهم كُتُبًا يدعوهم فيها إلى الإسلام.

قال أنس رضي الله عنه: كَتَب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كِسرى وإلى قَيصر وإلى النَّجاشي، وإلى كل جَبَّار يدعوهم إلى الله. رواه مسلم.

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أُمية الضَّمْري بكتاب إلى النجاشي، فأسلم رضي الله عنه وأقرَّ بنُبُوة النبي صلى الله عليه وسلم.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دِحْيَة بن خليفة الكلبي رضي الله عنه بكتاب إلى قيصر ملك الروم يدعوه إلى الإسلام، فخاف واهتزَّ ولم يُسلم.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن حُذافة رضي الله عنه بكتاب إلى كسرى ملك الفرس يدعوه إلى الإسلام، فغضب ومزَّق كتاب النبي صلى الله عليه وسلم.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حَاطب بن أبي بَلْتَعة رضي الله عنه بكتاب إلى المقوقس ملك القبط يدعوه فيها إلى الإسلام، ولم يُسلم.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سَلِيط بن عمرو العامري رضي الله عنه بكتاب إلى هَوْذَةَ بن علي ملك اليمامة، فلم يُسلم.

هذه هي الكتب الخمسة التي بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم رسله إلى الملوك خارج الجزيرة العربية، وبعث كُتُبًا غيرها في العام الثامن للهجرة.

أرسل النبي صلى الله عليه وسلم هذه الكُتُب الخمسة في مُحرم من السنة السابعة للهجرة، فكان أَثَرُها عظيمًا في نُفُوس من أرسلت إليهم من الملوك.

قبل غزوة خيبر بثلاثة أيام وقعت غزوة ذي قَرَد، وتسمى غزوة الغَابة، وكان بطل هذه الغزوة هو سَلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

سبب هذه الغزوة أن عبدالرحمن بن عُيينة بن حصن هجم على أطراف المدينة، وأخذ عشرين ناقة للنبي صلى الله عليه وسلم، وقتل أحد المسلمين وهرب.

لحقهم سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ركضاً على قدميه، ومعه نَبْله وقوسه يرميهم حتى استطاع أن يسترجع عددا من نوق النبي صلى الله عليه وسلم.

وصل الخبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فصرخ في المدينة "الفزع الفزع"، فترامت الخيول إليه صلى الله عليه وسلم، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعهم.

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمس مائة رجل من أصحابه، وإذا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قد استرجع كل نوق النبي صلى الله عليه وسلم.

ولحِق أبو قَتَادة الحارث بن رِبعي رضي الله عنه فارس النبي صلى الله عليه وسلم بعبدالرحمن بن عُيينة بن حصن فأدركه فقتله.

عند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خَيرُ فُرْسانِنا اليوم أبو قتادة، وخَيرُ رَجَّالَتِنا سلمة". رواه الإمام مسلم.

وفي غزوة ذي قَرَد - وتُسمى غزوة الغابة - صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الخوف. روى ذلك الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح.

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه بذي قَرَد يُمازحهم، ويُضاحكهم وقد نحر بلال رضي الله عنه ناقة، فهو يشوي من كبدها وسنامها.

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، منصوراً، وقد استرجع نُوقه بأبي هو وأمي، وأصحابه يُطِيفُون به عليه الصلاة والسلام.

في محرم من السنة السابعة للهجرة وقعت غزوة خيبر الشهيرة، وخيبر لا يسكنها إلا اليهود، وخيبر هي موطن المؤامرات ضد المسلمين.

يهود خيبر هم الذين جَمعوا الأحزاب لغزو المدينة وألَّبُوهم على المسلمين في غزوة الأحزاب، فكانت خيبر هي موطن إثارة الفتن.

وعد الله سبحانه نَبيَّه صلى الله عليه وسلم بفتح خيبر في كتابه الكريم، فقال سبحانه في سورة الفتح: {وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا}.

وكانت خيبر غنيمة خاصة لأهل الحُديبية رضي الله عنهم، فأمر رسول الله أن لا يخرج معه إلا من شهد الحُديبية، وكانوا ألف وأربع مائة صحابي.

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بجيشه إلى خيبر، فلما وصل، رآه يهودها، فخافوا وأغلقوا حصونهم، وصرخوا: محمد وجيشه.

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفهم صرخ: " الله أكبر، خَرِبت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين".

بدأ حصار خيبر، واشتد حصارها، وبدأت بطولات الصحابة رضي الله عنهم تظهر، وبدأت حَملات الصحابة تدكهم دكـًا.

ظهرت بطولات عظيمة للزبير بن العوام، وعلي بن أبي طالب، وأبو دجانة، وسلمة بن الأكوع، وغيرهم من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم.

قَتَل علي بن أبي طالب مَرْحب اليهودي بطل اليهود، وقَتَل الزبير ياسر أخو مَرْحب، وفُتحت أكثر من نصف خيبر.

فلما أيقن يَهود خيبر بالهلاك استسلموا، وأرادوا مفاوضة النبي صلى الله عليه وسلم على ما تبقى من خيبر، فوافق النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك.

تم الاتفاق على: حقن دماء من في حصون يهود خيبر، وترك الذرية لهم، و أن يخرج يهود خيبر من أرضهم، و أن يحملون كل ما أرادوا إلا السلاح.

فلما أراد يهود خيبر الخروج من أرضهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يُقرَّهم في خيبر أُجراء يعملون مزارعين ولهم نصف ثمارها في السنة.

فوافق النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، لأنه لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم ولا لأصحابه غِلمان يقومون عليها، وكانت أرض خيبر شَاسعة واسعة وكلها نخيل.

واغتنى المسلمون بفتح خيبر، قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: "ماشَبِعْنَا حتى فتحنا خيبر". رواه البخاري.

وروى الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها: "لما فُتحت خيبر قُلنا: الآن نشبع من التمر". وذلك لكثرة نخيلها.

قَدِمَ على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في خيبر مهاجرو الحبشة وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، ففرح بهم النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام: "ما أدري بأيِّهما أنَا أُسَرُّ بفتح خيبر أم بِقُدُوم جعفر". رواه الحاكم.

وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في خيبر الأشعريون، وكانوا ثلاثة وخمسون رجلاً، فيهم أبو موسى الأشعري رضي الله عنه.

وقبل قدوم الأشعريين بيوم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَقدم عليكم غداً أقوام هم أرقُّ قُلُوبا للإسلام مِنكم". فقدم الأشعريون.

وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في خيبر قبيلة دَوْس على رأسهم الطفيل بن عمرو الدوسي، وراوية الإسلام أبو هريرة رضي الله عنهما.

وقعت صَفية بنت حيي بن أخطب في السبي، وذلك قبل نزول خيبر على الاستسلام والصلح، فعرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام فأسلمت.

فلما أسلمت أعتقها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتزوجها، وجعل عِتاقها مهرها. وأصبحت من أمهات المؤمنين رضي الله عنها.

فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر خيبر جاءته زينب بنت الحارث اليهودية بشاة مشوية مسمومة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وقد أكلوا منها: "ارفعوا أيديكم إنها مسمومة". فمات من السم بشر بن البراء بن معرور.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزينب بنت الحارث: "ما كان الله ليُسلِطك عليَّ". ثم قتلها بقتلها لبشر بن البراء رضي الله عنهما.

ظل يهود خيبر في خيبر يعملون بزراعتها ولهم نصف ثمارها، إلى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث قتلوا أحد المسلمين.

فطلب عمر رضي الله عنه منهم القاتل فرفضوا، فأخرجهم عمر رضي الله عنه من الجزيرة إلى الشام، وطَهَّر جزيرة العرب منهم.

رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة منصوراً، فلما ظهر له جبل أحد قال: "هذا جَبَل يُحبُّنا ونُحبُّه". متفق عليه.

وقعت غزوة ذات الرِّقاع بعد غزوة خَيبر، وسُميت بذلك لأنهم لَفُّوا على أرجلهم الخِرَق لأنهم لم يكن عندهم أحذية.

وسبب هذه الغزوة هو ما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جموعا من غطفان أرادوا غزوا المدينة، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أربع مائة من أصحابه رضوان الله عليهم.

فلما سمعت غطفان بخروج الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم، هربوا من كل مكان. ووصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكان تجمعهم وإذا هو ليس به أحد.

صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع صلاة الخوف، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.

في ذي القعدة سنة سبع من الهجرة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم للعمرة، كما وقع في بُنود صُلح الحُديبية، وقد مضى عام كامل على صُلح الحُديبية.

سُميت هذه العمرة عمرة القَضَاء والقَضيَّة، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَاضَى قريشا في صُلح الحُديبية على أداء العمرة في العام القادم.

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه مِن أصحابه مَن شهد الحُديبية إلا من مات منهم رضي الله عنهم أجمعين.

ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم ستين ناقة، وحمل معه السلاح خوفا من غدر قريش، وتوجه إلى مِيقات ذي الحُلَيفة وهو مِيقات أهل المدينة.

أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه بالعُمرة، ثم انطلق إلى مكة، وهو يُلبي، ومعه أصحابه يُلبُّون.

وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة، ودخل المسجد الحرام من باب بَني شَيبة – بعد فراق دام سبع سنوات – فكان صلى الله عليه وسلم فَرِحـًا بهذه العُمرة.

استلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرُّكن بِمِحجنه واضطبع بثوبه ثم طاف بالبيت سبعة أشواط، فلما فرغ من طوافه صلى خلف مقام إبراهيم ركعتين.

ثم ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه إلى المسعى، فسعى بين الصفا والمروة على راحلته، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهَدِيهِ فَنَحره.

ثم حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه الشريف، حلقه مَعْمَر بن عبدالله العَدَوِي رضي الله عنه، وكذلك فعل أصحابه رضي الله عنهم.

مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في مكة ثلاثة أيام كما في بنود صُلح الحُديبية، ولم يدخل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة لوجود الأصنام والصور فيها.

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة، فلما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منطقة سَرِف أقام بها.

تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث في منطقة سَرِفَ، وهي آخر من تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتُوفيت سنة احدى وخمسين من الهجرة.

في أوائل السنة الثامنة من الهجرة تُوفيت زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم، وهي أكبر بنات النبي صلى الله عليه وسلم، ودُفنت بالبقيع.

في صفر من السنة الثامنة من الهجرة قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المدينة: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة مسلمين رضي الله عنهم.

ففرح بهم النبي صلى الله عليه وسلم فرحـًا عظيمـًا، وقال: "رَمَتْكُمْ مكة بأفْلاذِ أكْبَادِهَا".

في جمادى الأولى من السنة الثامنة من الهجرة وقعت غزوة مُؤتة العظيمة، بين المسلمين والغَسَاسِنة، وسُميت غزوة مع أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشهدها بنفسه.

كشف الله لنَبيِّه صلى الله عليه وسلم أحداث الغزوة وهو في المدينة.

وكان سببها قَتْل رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن عُمير رضي الله عنه.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه بكتاب إلى ملك بُصرى في الشام، فعرض له شُرحبيل بن عمرو الغَسَّاني فقتله لمَّا عَلِمَ أنه مسلم.

وكان قَتْل السُّفراء والرُّسُل من أشنع الجرائم، فقد جرت العَادَةُ والعُرْف بعدم قتلهم أو التَّعرُّض لهم.

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالتجهز لقتال الغساسنة، فتجمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف مقاتل، وهو أكبر جيش إسلامي منذ بعثته صلى الله عليه وسلم.

أَمَّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الجيش مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، فإن قُتل فجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فإن قُتل جعفر، فعبدالله بن رواحة رضي الله عنه، وعَقَد رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء أبيض، ودفعه إلى زيد بن حارثة رضي الله عنه.

وفي هذه الغزوة شارك خالد بن الوليد رضي الله عنه، وهي أول معركة يشارك فيها منذ إسلامه رضي الله عنه.

وصل جيش المسلمين البالغ ثلاثة آلاف إلى منطقة مَعَان، فبلغه خبر عدد جيش الغساسة مائتي ألف بمساعدة الروم.

ولم يكن المسلمون أدخلوا في حسابهم لقاء مثل هذا الجيش العَرمرم الذي فوجئوا به، ومع ذلك لم يَهابهم كثرة عَدُوِّهم.

قَسم زيد رضي الله عنه جيشه:

الميمنة جعل عليها: قُطْبة بن قتادة.

والميسرة جعل عليها: عَبَايَة بن مالك الأنصاري.

تحرك جيش المسلمين إلى منطقة مُؤْتة، والتقى الجيشان، تخيلوا ثلاثة آلاف مقاتل، يُواجهون مائتي ألف مقاتل.

وبدأ القتال المرِير...

فعلاً معركة عظيمة ظهرت فيها بطولات عظيمة للصحابة رضي الله عنهم حَيَّرت الأعداء.

أخذ الراية زيد بن حارثة، وجعل يُقاتل الكفار بضَرَاوة بالغة، وبسالة نادرة، والمسلمون معه، حتى قُتل رضي الله عنه.

فلما قُتل زيد رضي الله عنه أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، وأخذ يُقاتل قتالاً عظيماً ليس له مثيل حتى قُتل رضي الله عنه.

فلما قُتل جعفر رضي الله عنه أخذ الراية عبدالله بن رواحة، وتقدم بها وهو على فرسه يُقاتل الكفار حتى قُتل رضي الله عنه.

كشف الله أحداث المعركة لنَبيِّه صلى الله عليه وسلم وهو في المدينة، فلما قُتل قادة مُؤتة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما يَسرُّهم أنهم عندنا". قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم للنعيم الذي هُمْ فيه بعد استشهادهم رضي الله عنهم أجمعين.

فلما قُتل عبدالله بن رواحة سقطت الراية، ولم يُكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً بحملها بعده، فتقدم ثابت بن أقْرَم وحمل الراية.

فاجتمع المسلمون حوله، ومن بينهم خالد بن الوليد رضي الله عنه، فدفع ثابت الراية لخالد، فحملها.

فلما أخذ خالد رضي الله عنه الراية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهو في المدينة: "أخذ الراية سيف من سيوف الله".

استطاع خالد رضي الله عنه أن يُرتب جيشه، ويَثبت أمام هذا الطُوفان من العدو، ويبدأ الهجوم على الكفار.

ثم إنه رضي الله عنه استطاع أن يحفظ جيش المسلمين، وينسحب بدون خسائر، ورجع إلى المدينة.

حديث: "ليسُوا بالفُرَّار ولكنهم الكُرَّار إن شاء الله". قاله رسول الله لجيش مؤته لما انسحب من المعركة. والناس يقولون: يا فُرار، فذكر الحديث، أخرجه ابن إسحاق في السيرة بإسناد ضعيف قال الحافظ ابن كثير: وهذا مرسل وفيه غرابة.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفقد آل جعفر بعد استشهاد جعفر في مؤتة، فقال لأهله: "اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد أتاهم ما يُشغلهم".

في جمادى الآخرة سنة ثمان من الهجرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن العاص: "إني أريد أن أبعثك على جيش، فَيُسلِّمك الله ويُغْنِمُك".

فقال عمرو رضي الله عنه: يا رسول الله إني لم أسلم رَغْبَة في المال، وإنما أسلمت رَغْبَة في الجهاد، والكَينُونة معك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عمرو نِعْم المال الصالح للرجل الصالح".

ثم بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية ذات السلاسل ومعه ثلاث مائة مقاتل.

خرج عمرو بمن معه، والهدف جمعاً لقبيلة قُضَاعة تَجمعوا لغزو المدينة، فباغتهم عمرو رضي الله عنه وكَبَّدهم خسائر فادحة.

ورجع إلى المدينة مُنتصرا، ولم يُقتل أو يُجرح أحد من المسلمين في سرية ذات السلاسل، ففرح بهم النبي الله صلى الله عليه وسلم فرحاً عظيماً.

في شعبان سنة ثمان من الهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا قتادة الحارث بن رِبْعي في سرية، والهدف حَشد لقبيلة غطفان يُريد غزو المدينة.

فاستطاع أبو قتادة رضي الله عنه ومن معه أن يُباغتوا حَشد قبيلة غطفان، ويَقتل منهم ويَسبي منهم، وفَرَّ بعضهم.

في اليوم العاشر من رمضان من السنة ثمان من الهجرة وقع أعظم فتح في الإسلام فتح مكة، وكان يوماً مشهوداً، أعز الله به دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وكان سبب هذا الفتح العظيم هو غَدر بَني بكر وقريش لخزاعة التي دخلت في حلف النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحُديبية، فقتلوا منهم عشرين رجلا.

فخرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، فوقف عليه وهو في المسجد، وأخبره خبر الغدر كاملاً.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نُصِرْت يا عمرو بن سالم". ثم خرج من مكة وَفْد من خُزاعة وأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر.

خافت قريش من هذا الغدر، وأرسلت أبا سفيان ليُجدد الصُلح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يخرج منه بشيء، ورجع أبو سفيان خائبًا.

تهيأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للفتح العظيم، وسأل ربه أن يُعْمي عن قريش خبره، فقال: "اللهم خُذ العيون والأخبار عن قريش".

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه للخروج، وأرسل إلى كل القبائل المسلمة أن يَتجهزوا للخروج معه.

تجمع للنبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف، وهو أكبر جيش يتجمع للمسلمين من بعثته صلى الله عليه وسلم، وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة يوم العاشر من رمضان سنة ثمان من الهجرة.

في طريقه صلى الله عليه وسلم إلى مكة لقيه ابن عمه أبو سفيان بن الحارث، وابن عمته عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة مسلمين.

واصل النبي صلى الله عليه وسلم طريقه إلى مكة وهو صائم، والناس معه صيام، وقد صَبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء على رأسه ووجهه من شدة العطش.

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكَديدَ وهو ماء بين عُسْفَان وقُديد، قال لأصحابه: "إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم".

فأفطر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأفطر الناس، فكانت رُخْصَة، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإناء، فشرب نهاراً ليراه الناس.

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجُحْفَة لقيه عمه العباس بن عبدالمطلب مُهاجرا بأهله وعياله إلى المدينة، ففرح به النبي صلى الله عليه وسلم.

وما كان العباس رضي الله عنه يعلم بقدوم جيش المسلمين، وهو آخر من هاجر إلى المدينة، لأن بعده فُتحت مكة وانقطعت الهجرة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا هجرة بعد الفتح "- أي فتح مكة -. والمقصود بالهجرة في الحديث الهجرة الخاصة من مكة إلى المدينة.

حديث: "يا عم اطمئن فإنك خاتم المهاجرين في الهجرة كما أنا خاتم النَّبيِّين في النُّبوة". رواه أحمد بإسناد ضعيف جداً.

أكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقه إلى مكة، فلما وصل إلى منطقة الظَّهران عِشاءً، أمر أصحابه بإيقاد النيران، فأوقدوا النار.

وكان الله سبحانه قد أخذ العُيُون عن قريش، فانقطعت أخبار النبي صلى الله عليه وسلم عنهم تماماً، ولا يَدرون ما سيفعل النبي صلى الله عليه وسلم بغدرهم.

فخرج أبو سفيان، وحكيم بن حِزام، وبُديل بن وَرقاء رضي الله عنهم - وكلهم أسلم بعد الفتح - يبحثون عن الأخبار.

فخرجوا من مكة، حتى أتوا مَرَّ الظَّهران، وإذا بهم يرون نيران كثيرة – عشرة آلاف مقاتل – ففزعوا منها فزعـًا شديداً.

في هذه الفترة كان العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه يبحث عن أحد يُخبر قريش بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، حتى تَستسلم قريش ولا تُقاتل.

فرأى العباس رضي الله عنه أبا سفيان سيد مكة ومعه حكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء، فأقنع العباس أبا سفيان بالاستسلام وأن لا تُقاتل قريش.

فلما رأى أبو سفيان حجم جيش النبي صلى الله عليه وسلم، عَلِمَ أنه لا طاقة له بقتال النبي صلى الله عليه وسلم، ووافق على الاستسلام.

ذهب العباس بأبي سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليُسلِّم له مكة، فلما دخل أبو سفيان على النبي صلى الله عليه وسلم، دعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأسلم.

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سفيان: "مَن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومَن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن".

ثم انطلق أبو سفيان واجتمع بأهل مكة، وأخبرهم خبر النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه لا طاقة لأحد به، وأنه لا نَجاة لأحد يَخرج مِن بيته.

هنا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتحرك لدخول مكة، وقال لأصحابه: "لا تُقاتلوا إلا من قَاتلكم، ونَهاهم عن قَتْل النساء والصبيان".

ثم دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة من أعلاها من كَدَاء في كتيبته الخضراء وذلك يوم الجمعة التاسع عشر من رمضان من السنة الثامنة من الهجرة، وكان يومـًا مشهوداً.

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة على ناقته القَصْواء، وهو صلى الله عليه وسلم في شدة التواضع لربه سبحانه الذي أكرمه بهذا الفتح فتح مكة.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقرأ سورة الفتح وهو على ناقته، يرفع بها صوته صلى الله عليه وسلم، وأهل مكة من بيوتهم ينظرون إلى هذا المشهد العظيم.

ثم ضُرِبت للنبي صلى الله عليه وسلم في منطقة الخَيْف خيمة كما أمر، ونزل بها صلى الله عليه وسلم، فجاءته أم هانئ ابنت عمه تستأذن عليه فقال صلى الله عليه وسلم: "مرحبـًا يا أم هانئ".

فقالت أم هانئ للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله أَجَرْتُ فُلان وفُلان، قريبين لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قد أَجرنا مَن أجرتِ يا أم هانئ".

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المسجد الحرام، والمهاجرون والأنصار بين يديه، وخلفه، وحوله، يُهلِّلون، ويُكبِّرون.

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحَجر الأسود فاستلمه بِمِحجن كان في يده، ثم طاف بالبيت سبعـًا على راحلته، وحول البيت ثلاث مائة وستون صنما.

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما دَنا من صنم يَطْعنها بِمِحجنه، ويقول: {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}، {قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ}، فما يُشير رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمِحجنه على صنم في وجهه إلا وقع لِقفاه، فإذا وقع الصنم قام الصحابة رضي الله عنهم بتكسيره، حتى كُسِّرت كل الأصنام التي كانت حول الكعبة.

ثم نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجب الكعبة عثمان بن طلحة رضي الله عنه – وهو الذي عنده مفتاح الكعبة –، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفتح له الكعبة، فلما فتحها، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب أن يزيل الصور التي فيها، فأزالها.

ثم دخل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة وأدخل معه بلال بن رباح وأسامة بن زيد رضي الله عنهما، وأغلق عليهم الباب فمكث صلى الله عليه وسلم فيه طويلاً.

جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عموداً عن يساره، وعمودين عن يمينه وثلاثة أعمدة وراءه وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة وصلى فيه ركعتين.

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكعبة، وقد تَجمَّع أهل مكة له، فخطب فيهم خطبة عظيمة، حَمِدَ فيها ربه، وأثنى عليه.

ثم قال صلى الله عليه وسلم: "يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم"؟، قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال صلى الله عليه وسلم: "أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: {لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ}، اذهبوا فأنتم الطُلقاء ".

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وفي يده مفتاح الكعبة، فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية.

فقال صلى الله عليه وسلم: "أين عثمان بن طلحة"؟ فدُعي له، فقال صلى الله عليه وسلم: "خُذوها يا بَني أبي طلحة تالدة خالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم".

فلما استقر الأمر برسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه أهل مكة يُبايعونه، فجاء أبوبكر الصديق بوالده أبي قُحافة، فأسلم بين يديه صلى الله عليه وسلم.

ثم بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء قريش وأفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدة فتاوى:

تحريم بيع: الخمر، والميتة، والخنزير، والأصنام.

كان لفتح مكة أثرٌ عظيم في نفوس العرب، وذلك أنهم كانوا ينتظرون نتيجة الصراع بين المسلمين وقريش.

فلما انتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش، وفُتحت مكة دخل الناس في دين الله أفواجا.

أقام النبي صلى الله عليه وسلم في مكة بعد فتحها تسعة عشر يوما، وفي يوم السبت السادس من شوال من السنة الثامنة من الهجرة خرج صلى الله عليه وسلم إلى حُنين، وهو وادٍ قريب من الطائف.

كان سبب توجّهه صلى الله عليه وسلم إلى حُنين ما بلغه عن هوازن أهل الطائف من جمعهم الجموع الكثيرة لقتاله صلى الله عليه وسلم وهو في مكة، فتوجه إليهم قبل أن يأتوه.

اجتمع لهوازن عشرين ألف مقاتل، وخرجوا بنسائهم وأطفالهم وأموالهم من الإبل والغنم، وكان قائدهم مالك بن عوف.

خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ومعه اثنى عشر ألف مقاتل، عشرة آلاف الذين جاؤوا معه من المدينة لفتح مكة، وألفان من أهل مكة وهم الطُلقاء.

استعمل النبي صلى الله عليه وسلم على مكة يحكمها بعد خروجه منها: عَتَّاب بن أسيد رضي الله عنه، وهو أول أمير على مكة في الإسلام.

في طريق النبي صلى الله عليه وسلم إلى حُنين مر على شجرة عظيمة يُقال لها "ذَاتُ أنواطٍ" كان العرب يتمسحون بها ويتبركون بها ويعبدونها.

فقال الطُلقاء من أهل مكة – وكان في إسلامهم ضعف –: يا رسول الله اجعل لنا "ذات أنواط" كما لهم "ذات أنواط".

فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: "الله أكبر قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}".

وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى وادي حُنين، وفي السَّحر عَبَّأ رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشه، وعقد الألوية والرايات، ورتب جنده في هيئة صفوف منتظمة.

استعمل النبي صلى الله عليه وسلم على الفُرسان خالد بن الوليد رضي الله عنه، وبشَّر أصحابه بالفتح والنصر إن صبروا وثبتوا.

كان بعض المسلمين من الطُلقاء قد أُعجب بكثرتهم، وقالوا: والله لا نُغلب اليوم من قِلة، فكان اتكالهم على عددهم.

بدأ المسلمون بالنزول إلى وادي حنين - وكان مُنحدراً شديداً - وكانوا لا يدرون بوجود كَمين لهوازن في أسفل الوادي.

فلما نزلوا الوادي، ما فاجأهم إلا كتائب هوازن قد شَدَّت عليهم شَدَّة رجل واحد، وبدأ الضرب بخالد بن الوليد حتى سقط.

وانكشفت خيل بني سُليم مُولية، وتبعهم أهل مكة - وهم الطُلقاء - وبدأ فِرار المسلمين من كل مكان.

قال البراء بن عازب: فلقوا - أي المسلمون - قومـًا رُماة لا يَكاد يَسقط لهم سَهْم فرَشَقُوهم رشقـًا، ما يَكادون يُخطئون.

انحاز النبي صلى الله عليه وسلم ذات اليمين، وثبت معه نفرٌ قليل من المهاجرين والأنصار، وأهل بيته، فيهم: أبو بكر، وعُمر، وعلي رضي الله عنهم.

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُنادي الذين فرَّوا من المسلمين: " إليَّ عِباد الله هَلُمُّوا إليَّ، أنا رسول الله، أنا محمد".

ولم يلتفت منهم أحد إليه ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض ببغلته قِبَل المشركين، ويقول:

أنا النبي لا كذب ❋ أنا ابن عبدالمطلب

وكان العباس آخذ بلِجَام بغلته صلى الله عليه وسلم، وابن عمه أبو سفيان بن الحارث آخذ بِرِكَابِها يَكُفَّانها عن الإسراع نحو العدو.

ثم نَزَل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بغلته، فاستنصر ربه ودعاه قائلاً: "اللهم نَزِّل نصرك، اللهم إنْ تشأ لا تُعبد بعد اليوم".

وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقاتل، والصحابة الذين ثبتوا يُقاتلون معه، ويَتَّقون به صلى الله عليه وسلم لشجاعته وعظيم ثباته صلى الله عليه وسلم في مثل هذه المواقف.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كُنَّا إذا احمرَّ البأس، ولقي القومُ القومَ، اتَّقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس رضي الله عنه، وكان رجلا صَيِّتا: "يا عباس ناد أصحاب السَّمُرَة"، - وهي الشجرة -.

فنادى العباس الصحابة الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان - تحت الشجرة - فلما سمع المسلمون صوته أقبلوا.

وهم يقولون: لبيك لبيك، حتى إن الرجل ليُثني بعيره، فلا يقدر على ذلك، ويقتَحِم بعيره، ويُخلي سبيله، ويَقصد العباس.

قال العباس رضي الله عنه: والله لكأنَّ عطفتهم حين سمعوا صوتي، عَطْفة البقر على أولادها، وفاءً ببيعة الرضوان.

وتجالد الناس مُجالدة شديدة، وأشرف النبي صلى الله عليه وسلم من على بغلته، ثم قال: "الآن حَمى الوَطيس".

ثم أخذ النبي صلى الله عليه وسلم حَصَيَاتٍ فرمى بهن وجوه الكفار، وقال: "شَاهَت الوجوه"، فلم يبق منهم أحد إلا وامتلأت عيناه وفمه بالتراب.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انهزَموا ورب الكعبة، انهزَموا ورب الكعبة".

ثم أيَّد الله رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بنزول الملائكة، قال الله تعالى: { لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ

عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا}.

لم تُقاتل الملائكة في غزوة حُنين، وإنما نزلت لتخويف الكفار، وإلقاء الرُّعب في قلوبهم.

لم تُقاتل الملائكة في غزوة قط إلا في غزوة بدر الكُبرى، وهذا من خصائصها، كما ثبت ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

لما نزلت الملائكة هرب الكفار من كل مكان، وسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن خالد بن الوليد، فوجده جريحا مستندا على راحلته لا يستطيع الحركة.

فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم، وأخذ يَنفث على جراحه ويَمسحها بيده الشريفة، حتى شُفي خالد من جراحه، فهذه من مُعجزاته صلى الله عليه وسلم.

انطلق المسلمون يتبعون الكفار يَقتلون فيهم ويَأسرون، حتى ترك الكفار أرض المعركة، وتركوا نساءهم وذراريهم وأنعامهم.

وقعت كل غنائم الكفار بيد المسلمين، وكانت غنائم عظيمة: أربعة وعشرون ألفا من الإبل، وأربعون ألف شاة، و أربعة آلاف أوقية من الفضة.

غير النساء والأطفال، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تُجمع هذه الغنائم في منطقة الجِعرانة فجُمعت، وجَعل عليها حراسة.

ولم يَقسم النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم، وأمر صلى الله عليه وسلم بمتابعة الكفار الذين توجهوا إلى الطائف وتحصنوا بها.

غزوة الطائف هي في الحقيقة امتداد لغزوة حُنين، وذلك أن مُعظم فُلُول هوازن فروا من حُنين وتحصنوا بالطائف.

وصَل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وحاصرها، واشتد الحصار، لكن لا توجد أي مؤشرات لفتح الطائف لقوة حصونها.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رؤيا في منامه أنه لم يُؤذن له بفتح الطائف، ثم أخبر الناس برؤياه صلى الله عليه وسلم.

ثم نادى مناد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرحيل، وترك الطائف، فقال المسلمون: ادعُ الله عليهم، فقال صلى الله عليه وسلم "اللهم اهد ثَقيفا وَأْتِ بهم".

غادر رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف متوجها إلى الجعرانة، وفي الطريق لقيه سُراقة بن مالك رضي الله عنه، وأعلن إسلامه بين يديه صلى الله عليه وسلم.

وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة، وبدأ بتوزيع غنائم حُنين، فأعطا سادة العرب: كأبي سُفيان، وعُيينة بن حِصن مائة من الإبل.

أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم سادة العرب هذا العطاء الكبير، ليؤلف به قلوبهم، كي يتمكن الإسلام من قلوبهم، فما زال في إسلامهم ضعف.

أعطى النبي صلى الله عليه وسلم كل الناس إلا الأنصار رضي الله عنهم لم يُعطهم شيئا من الغنائم.

فبدأ الأنصار يشكون بعضهم لبعض وذهب سيد الأنصار سعد بن عُبادة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: يا رسول الله إن الأنصار وجدوا عليك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد: "اجمع لي الأنصار".

فذهب سعد وجمع الأنصار، ثم أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فجاءهم النبي صلى الله عليه وسلم.

فقال لهم صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الأنصار مَقَالةٌ بلغتني عنكم، أوجدتم في أنفسكم في لُعاعة من الدنيا، تألفت بها قوما ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، أفلا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعون برسول الله"، فبكى الأنصار بكاء شديداً.

بَيَّن النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه الحكمة في إعطاء سادات العرب الأموال العظيمة، وحرمان بعض الصحابة، وهو خوفه من ارتدادهم.

قال صلى الله عليه وسلم: "إني أُعطي قومـًا أخاف ظَلَعَهم وجَزعهم، وأَكِلُ أقوامـًا إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى".

بعدما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من توزيع غنائم غزوة حُنين بالجِعرانة، أَهَلَّ بالعُمرة ليلاً، وهذه العُمرة تُسمى عُمرة الجِعرانة.

ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة منصوراً ومؤيداً من الله سبحانه وتعالى، فقدمها في ذي القعدة من السنة الثامنة للهجرة.

في ذي القَعدة من السنة الثامنة للهجرة وُلِدَ إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم، في منطقة العالية حيث أنزل النبي صلى الله عليه وسلم أُمَّه مَارية القبطية.

وكانت مارية القبطية أَمَةً عند النبي صلى الله عليه وسلم أهداها له المقوقس عظيم القبط، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يَطؤها بملك اليمين، ولم تكن زوجة.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أنس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "وُلِد لي الليلة غُلام، فسميته باسم أبي إبراهيم".

وتنافست نساء الأنصار في إبراهيم أَيَّتُهُن ترضعه، لأن أمه مارية القبطية كانت قليلة الحليب، فدفعه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أم سَيف.

قال أنس: ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من النبي صلى الله عليه وسلم، كان يدخل على ابنه إبراهيم، فيأخذه ويُقبِّله.

دخل العام التاسع من الهجرة، والذي يُسميه أهل السِّير والمغازي عام الوفود، فأقام النبي صلى الله عليه وسلم طيلة هذا العام بالمدينة يستقبل الوفود.

بلغ عدد الوفود – وهي رؤوس القبائل – التي قدمت المدينة لتعلن إسلامها أكثر من ستين وفدا، فكان العام التاسع من الهجرة حافلا بالوفود.

فمن الوفود التي قدمت المدينة السنة التاسعة من الهجرة: وفد باهلة، ووفد بني تميم، ووفد بني أسد، ووفد بَجِيلَة وأَحْمَس، وغيرها.

في رجب من السنة التاسعة من الهجرة تُوفي النجاشي أَصْحَمَة – ملك الحبشة – رضي الله عنه بالحبشة، وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب.

قال جابر بن عبدالله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مات اليوم رَجُلٌ صالح، فَقُوموا فَصلُّوا على أخيكم أَصْحَمَة". متفق عليه.

وقال أبو هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نَعَى لهم النجاشي صاحب الحبشة في اليوم الذي مات فيه، وقال: "استغفروا لأخيكم".

وقال جابر بن عبدالله: "أن نَبي الله صلى الله عليه وسلم صَلَّى على النجاشي، فصَفَّنا وراءه، فكنتُ في الصَّفِّ الثاني، أو الثالث".

في رجب من السنة التاسعة من الهجرة وقعت آخر غزوة من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم، وهي غزوة تبوك.

وكانت هذه الغزوة مع أعظم دولة في العالم في ذلك الوقت، وهي الروم، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتَّهيُّؤ لغزو الروم.

وجاء وقت غزوة تبوك في ظروف قاسية – الحر شديد، والمسافة بعيدة جدا – ولذلك تُسمى أيضا غزوة العُسْرَة.

ولم يكن الخروج لغزوة تبوك على التَّخيير، وإنما كان على الوجوب، يجب على كل مسلم الخروج، إلا لمن له عذر كمرض ونحوه.

ثم حَثَّ النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة على الإنفاق لتجهيز جيش العُسْرة، فتسابق الصحابة رضي الله عنهم إلى التنافس في الإنفاق.

فجاء أبوبكر الصديق رضي الله عنه بكُلِّ ماله، فأنفقه على جيش العُسْرة، وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله، وأنفقه على جيش العُسْرة.

وأنفق عثمان بن عفان رضي الله عنه نفقة عظيمة على جيش العُسْرة، ما سُمِعَ بمثلها.

فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم هذه النفقة العظيمة من عثمان سُرَّ سروراً عظيمـًا، وقال: "ما ضَرَّ عثمان ما عَمِلَ بعد اليوم".

وجاء عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه بثمانية آلاف درهم، وتتابع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين في الإنفاق لتجهيز جيش العُسْرة.

فلما رأى المنافقون هذا الإنفاق من الصحابة رضي الله عنهم أخذوا يستهزئون بهم، فإذا أنفق الغني، قالوا عنه: مُرائي، وإذا أنفق صاحب المال القليل، ولو بصاع قال المنافقون: إن الله غني عن صاع هذا، فهكذا كان موقف المنافقين المتخاذل.

فأنزل الله في المنافقين: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ}.

تَخلَّف عدد من الصحابة الصادقين عن غزوة تبوك بغير عذر، وكانوا نَفَرَ صدق، لا يُتَّهمون في إسلامهم.

مِن الذين تَخلَّفوا بغير عذر: كعب بن مالك، هلال بن أمية، مُرارة بن الربيع، أبو لُبابة بن عبد المنذر، وغيرهم.

خرج النبي صلى الله عليه وسلم بجيشه العظيم ثلاثون ألف مقاتل، وهو أعظم جيش يتجمع للمسلمين مُنذ بعثته صلى الله عليه وسلم.

وخَلَّف النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه على أهله وأمره بالإقامة فيهم، فقال علي رضي الله عنه: أتُخلِّفني في الصبيان والنساء.

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "أمَا تَرضى أن تَكون مِني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي".

مضى النبي صلى الله عليه وسلم بجيشه الكبير، وعَسْكَر في ثنية الوداع وهناك عقد صلى الله عليه وسلم الألوية والرايات، وكان في جيشه صلى الله عليه وسلم عدد كبير من المنافقين.

مَرَّ النبي صلى الله عليه وسلم وهو في طريقه إلى تبوك بالحِجْر ديار ثمود – وهم قوم صالح عليه السلام – فاستعجل النبي صلى الله عليه وسلم راحلته.

ونزل النبي صلى الله عليه وسلم قريبا من ديار ثمود، ولم يَدخلها، فاستقى الناس من بئر كان بالحِجْر، واعْتَجنوا به عجينهم.

فلما عَلِمَ النبي صلى الله عليه وسلم بهم، قال: "لا تدخلوا على هؤلاء القوم الذين عُذِّبُوا، فإني أخاف أن يُصيبكم مثل ما أصابهم".

ثم أمرهم صلى الله عليه وسلم أن لا يَشربوا من بئرها ولا يَستقوا، فقالوا: عَجنَّا منها واستقينا، فأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يُلقوا ذلك العجين والماء.

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في أصحابه خُطبة عظيمة، حذرهم فيها من الدخول على أماكن عُذِّب فيها الكفار، خَشية أن يُصيبهم ما أصابهم.

أكمل النبي صلى الله عليه وسلم طريقه إلى تبوك، وكان صلى الله عليه وسلم يَجمع بين الصلوات، فكان يَجمع الظهر والعصر جميعـًا، والمغرب والعشاء جميعـًا.

أكمل النبي صلى الله عليه وسلم طريقه إلى تبوك، وقد أصاب الناس العطش، واشتدت حاجتهم إلى الماء، فشكا الناس ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم.

فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ربه أن يُنزل عليهم المطر، فتجمع السحاب، ونزل عليهم المطر، فشربوا، و ملأوا ما معهم.

في الطريق إلى تبوك نزل الجيش في الليل، وقُبيل صلاة الفجر ذهب النبي صلى الله عليه وسلم لقضاء حاجته ومعه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

تأخر النبي صلى الله عليه وسلم على الصحابة رضي الله عنهم في صلاة الفجر، فقدَّم الصحابة عبدالرحمن بن عوف ليُصلي بهم إماما في صلاة الفجر.

فلما بلغ عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه الركعة الثانية جاء النبي صلى الله عليه وسلم، فأدرك ركعة، وأتم ركعة صلى الله عليه وسلم.

فلما سَلَّم عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه وإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يُتم الركعة التي فاتته فوقع ذلك في قلوب الصحابة رضي الله عنهم.

فلما سلَّم النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: "أحسنتم" أو "أصبتم"، فأقرَّهم النبي صلى الله عليه وسلم على عدم انتظاره في سبيل إقامة الصلاة على وقتها.

وأما حديث: "ما قُبض نَبي حتى يُصلي خلف رجل صالح من أمته". فقد رواه الإمام أحمد، وابن سعد في طبقاته وهو حديث ضعيف.

أكمل صلى الله عليه وسلم طريقه إلى تبوك، وقال لأصحابه: "إنكم ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك، فمن جاءها فلا يمس من مائها حتى آتي".

فلما وصل المسلمون إلى تبوك، وجدوا عينها قليلة الماء، وإذا رجلان من المنافقين أخذوا ماءها وكان النبي صلى الله عليه وسلم نهاهم عن ذلك.

فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن رَجُلين سبقاه إلى عين تبوك وأخذا من مائها لَعنهُما، ثم غَسَل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه ويديه من ماء تبوك.

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: "يُوشك يا معاذ إنْ طالت بك حياة، أنْ تَرى ما ها هنا قد مُلئ جِنانـًا".

ثم ضُرِبت للنبي صلى الله عليه وسلم قُبَّة – أي خيمة – وأقام النبي صلى الله عليه وسلم في تبوك عشرين يومـًا، ولم يَلق كيداً، ولم يُواجه عدواً.

ثم أخذ النبي صلى الله عليه وسلم يُرسل السرايا إلى القبائل على أطراف الشام، وأرسل رسالة إلى قيصر عظيم الروم.

صَالحَ النبي صلى الله عليه وسلم أهل أَيْلَة، ويهود جَرْبَاءَ وأَذْرُح، وبعث خالد بن الوليد ومعه أربع مائة وعشرون مقاتل إلى أُكَيْدر دُومة الجَنْدَل.

فصالح أُكَيْدَر دُومة الجَنْدل النبي صلى الله عليه وسلم على الجزية، وأهدى أُكيدر النبي صلى الله عليه وسلم بَغلة، وجُبَّة من سُندس مَنسُوج فيها الذهب.

فعجب الصحابة من جَمال الجُبَّة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أتعجبون من لين هذه، لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين".

ثم بعث النبي صلى الله عليه وسلم دِحْيَة الكلبي برسالة إلى قيصر عظيم الروم يدعوه فيها إلى ثلاث خصال: "إما الإسلام، أو الجزية، أو القتال".

فجمع قيصر بَطارقته وقرأ عليهم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: والله ما ندخل في دينه ولا ندفع له الجزية، ولا نقاتله.

ثم أرسل قيصر رسالة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر، فاكتفى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وسمعت العرب أن الروم خافت من قتال النبي صلى الله عليه وسلم.

رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، بعد أن أقام في تبوك عشرين يوما، ولم يلق كيداً من أي عدو.

فلما وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى وادي القرى قال لأصحابه: "إنِّي مُتعجِّلٌ إلى المدينة فمن أراد منكم أن يَتعجَّل معي فليتعجل".

فلما وصل النبي صلى الله عليه وسلم بذي أوان نزل عليه الوحي، وأخبره ببناء المنافقين مسجد الضِّرار، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بحرقه بالنار وهدمه.

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: "إن بالمدينة أقوامًا ما سِرتم مسيراً، ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم فيه، حبسهم العُذر".

فلما أشرف النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة، قال: "هذه طيبة أو طابة"، فلما رأى جبل أُحُد، قال "هذا جبل نُحِبُّه ويُحبُّنا".

وتسامع الناس بمقدم النبي صلى الله عليه وسلم، فخرجوا إلى ثَنيَّة الوداع يَتلقَّونه، بحفاوةٍ وفرحٍ وسُرورٍ بالغ.

قال السائب بن يزيد: أَذكر أنَّي خرجت مع الصبيان نَتلقَّى النبي صلى الله عليه وسلم إلى ثَنيَّة الوداع مَقدمه من غزوة تبوك. رواه البخاري.

انقسم الناس المتخلفين عن غزوة تبوك إلى أربعة أقسام:

١- مأمورين مأجورين كعلي بن أبي طالب، ومحمد بن مسلمة، وابن أم مكتوم.

٢- معذورين: وهم الضُّعفاء والمرضى.

٣- عُصاة مُذنبين: كالثلاثة الذين خُلِّفوا.

٤- ملومين مذمومين: وهم المنافقون.

فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بمقاطعة كل مَن تَخلَّف عن غزوة تبوك ممن لا عُذر له، فأعرض عنهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون.

جاء الأعراب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يعتذرون بأعذار واهية عن تخلفهم عن غزوة تبوك، فعذرهم النبي صلى الله عليه وسلم، وَوَكِلَ سرائرهم إلى الله.

وأرجأ النبي صلى الله عليه وسلم أمر ثلاثة من الصحابة الصادقين، وهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، رضي الله عنهم أجمعين.

هؤلاء الصحابة الثلاثة رضي الله عنهم اعترفوا للنبي صلى الله عليه وسلم أن ليس لهم عذر بتخلفهم عن غزوة تبوك.

قال الله عن الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك: {وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

ثم إن الله تاب على هؤلاء الثلاثة لصدقهم، رضي الله عنهم، فأنزل في توبته عليهم قوله تعالى: {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}.

لما استقر النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة بعد عودته من آخر غزوة غزاها – وهي تبوك – سارعت القبائل إليه في المدينة لِتُعلن إسلامها.

في أواخر العام التاسع الهجري تُوفيت أم كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم.

وتُوفي رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول قَبَّحه الله.

في أواخر شهر ذي القعدة سنة تسع من الهجرة، بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق أميرا على الحج، لِيُقيم للمسلمين حجهم.

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر بأمور يُعلنها بالحج: لا يَحجنَّ بعد هذا العام مشرك، لا يطوف بالبيت عُريان، لا يدخل الجنة إلا مؤمن.

في ربيع الأول سنة عشر من الهجرة تُوفي إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وعُمُره سنة وأربعة أشهر، ودخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وعيناه تدمعان.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثَّدي – أي في فترة الرضاع – وإن له لَظِئْرَين تُكملان رضاعه في الجنة".

ودُفِنَ إبراهيم في مقبرة البقيع، وانكسفت الشمس يوم مات إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم، فقال الناس: إنما انكسفت لموت إبراهيم.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموها فادعوا وصلّوا".

في ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة أُذِّن في الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم يريد الحج هذه السنة.

فقدم المدينة بَشرٌ كثير، كلهم يلتمس أن يأتَمَّ بالنبي صلى الله عليه وسلم.

قال جابر: فلم يَبْقَ أحد يقدر على أن يأتي إلا قَدِمَ.

سُمِّيت هذه الحجة باسم حجة الوداع لأن النبي صلى الله عليه وسلم ودَّع الناس فيها، ولم يحج بعدها.

خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الحجة المباركة أكثر من مائة ألف حاج، وخرج صلى الله عليه وسلم بكل نسائه التسع رضي الله عنهن أجمعين.

انطلق النبي صلى الله عليه وسلم إلى ميقات ذي الحُليفة فاغتسل لإحرامه، ثم طيَّبته عائشة رضي الله عنها، ثم لبس صلى الله عليه وسلم إحرامه بأبي هو وأمي.

في ميقات ذي الحُليفة وَلدت أسماء بنت عُميس زوجة أبي بكر الصديق ولدها محمد، فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تغتسل وتستثفر بثوب وتُحرم.

ثم لَبَّىٰ النبي صلى الله عليه وسلم، والناس معه يُلبون، وجاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأمره أن يأمر أصحابه برفع أصواتهم بالتلبية.

حجّ النبي صلى الله عليه وسلم قَارنـًا، فلما وصل صلى الله عليه وسلم إلى منطقة سَرِف حاضت عائشة رضي الله عنها فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تعمل كل شيء إلا الطواف.

وصل النبي صلى الله عليه وسلم لمكة يوم الأحد لأربع ليال خلون من شهر ذي القعدة سنة عشر من الهجرة، ودخل صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام يوم الأحد ضُحى. دخله صلى الله عليه وسلم من باب عبد مناف وهو باب بني شيبة، والمعروف اليوم بباب السلام، ثم أدى العُمرة.

فلما انتهى النبي صلى الله عليه وسلم من عمرته نزل الأبْطح شرقي مكة، فلما كان يوم الثامن من ذي الحجة، وهو يوم التروية خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى منى.

صلى النبي صلى الله عليه وسلم بِمِنَى الظهر والعصر والمغرب والعشاء من يوم الخميس الثامن من ذي الحجة، والفجر من يوم الجمعة التاسع من ذي الحجة.

فلما طلعت الشمس من يوم الجمعة التاسع من ذي الحجة نهض النبي صلى الله عليه وسلم إلى عَرفة، حتى إذا زالت الشمس سار حتى أتى بَطن الوادي من أرض عُرنة.

هناك بأرض عُرنة خَطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خُطبته الشهيرة خُطبة عرفة، وهو على راحلته القَصواء.

خَطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة خُطبة عظيمة جامعة قرَّر فيها قواعد الإسلام، وهدم فيها قواعد الشرك والجاهلية.

لا يسع المقام لذكر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ومَن أرادها بالتفصيل، فليرجع لكتابنا "اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون".

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مِن خطبته بعرفة، صلى الظهر والعصر جمعاً وقصراً ولم يُصلي بينهما شيئاً.

ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم ناقته القصواء حتى أتى الموقف واستقبل القبلة، فلم يزل واقفا مشتغلا بالدعاء والتضرع حتى غربت الشمس.

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم الناس أن أفضل الدعاء دُعاء يوم عرفة، ونزل عليه صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة، قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}.

فلما غربت الشمس واستحكم غروبها، أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة إلى مُزدلفة.

صلى النبي صلى الله عليه وسلم المغرب والعشاء قصراً ثم اضطجع حتى طلع الفجر، ثم قام فصلى الفجر، وذلك يوم النحر وهو يوم الحج الأكبر.

ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ناقته القصواء، فاستقبل القبلة، ودعا الله وكبَّره وهلَّله ووحَّده، ولم يزل كذلك حتى أَسفر جداً.

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عباس غداة يوم النحر أن يلتقط له حصى الجمار، فالتقط له سبع حصيات مِن حصى الخَذْف.

ثم دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشعر الحرام قبل أن تطلع الشمس، مُخالفاً للمشركين الذين كانوا لا يُفيضون حتى تطلع الشمس.

فلما أتى النبي صلى الله عليه وسلم جَمرة العقبة الكبرى وقف في أسفل الوادي وجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه واستقبل الجمرة وهو على ناقته.

وكان الوقت ضُحى، فرماها رسول الله صلى الله عليه وسلم من بطن الوادي بسبع حصيات، يُكبر مع كل حصاة منها وهو يقول: "لتأخذوا مناسككم".

ثم انصرف النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنحر بمنى، فنحر بيده الشريفة ثلاث وستون ناقة، وكانت النوق يتدافعن إليه صلى الله عليه وسلم بأيتهن يبدأ.

فلما فرغ رسول الله من نَحْرِ هَدْيِهِ دعا الحلَّاق فحلق رأسه الشريف، حلقه مَعْمَرُ بن عبدالله العدوي رضي الله عنه.

قال أنس رضي الله عنه: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاَّق يَحْلقه وأطاف به أصحابه فما يُريدُون أن تقع شَعْرة إلا في يَدِ رجل. رواه مسلم.

فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من حلق رأسه الشريف لبس صلى الله عليه وسلم القميص، وأصاب الطيب، طيبته عائشة رضي الله عنها.

ثم ركب صلى الله عليه وسلم فأفاض بالبيت قبل الظهر فطاف طواف الإفاضة على راحلته ليُشرف وليراه الناس.

ثم أتى زمزم وشرب منها، ثم رجع إلى منى مِن يومه ذلك، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي الجمار في أيام التشريق الثلاثة بعد الزوال.

وختم رسول الله صلى الله عليه وسلم حجته المباركة بطواف الوداع، وقال للناس: "لا يَنفرنَّ أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت". متفق عليه.

ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وقد استصحب معه شيئا من ماء زمزم، فهذه حجة النبي صلى الله عليه وسلم مختصرة جداً، التي عُرفت بحجة الوداع.

في يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة أمر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة للتجهز لغزو الروم، وأمَّر عليهم أسامة بن زيد.

كان عُمر أسامة رضي الله عنه ثمانية عشر سنة وفي جيشه كبار الصحابة كعمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص وأبي عبيدة بن الجراح وغيرهم رضي الله عنهم.

وقد تكلم الناس في إمْرَة أسامة رضي الله عنه لِحَداثة سِنِّه، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قام في الناس خطيباً كما سيأتي.

ولما تكاملت الدعوة، وسيطر الإسلام على كل الجزيرة العربية، ودخل الناس في دين الله أفواجا، أحس النبي صلى الله عليه وسلم بدُنُوِّ أجله.

علامات دُنُوِّ أجل النبي صلى الله عليه وسلم:

١- نزول سورة النصر.

٢- مدارسته صلى الله عليه وسلم القرآن مع جبريل مرتين على غير المعتاد.

٣- اجتهاده صلى الله عليه وسلم في العبادة.

٤- مضاعفته صلى الله عليه وسلم اعتكاف رمضان، إلى عشرين يوما بدل عشرة أيام.

بدأ مرض النبي صلى الله عليه وسلم الذي قَبضه الله فيه في أواخر ليالي صفر، وكانت مدة مرضه صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر يومـًا، وأول ما بُدئ به صلى الله عليه وسلم من مرضه الصُّداع.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم عند عائشة رضي الله عنها لما بدأ معه الصداع في رأسه، ثم إنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يطوف على أزواجه.

فلما وصل صلى الله عليه وسلم إلى بيت ميمونة رضي الله عنها اشتد به المرض، فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواجه أن يُمرَّض في بيت عائشة، فأَذِنَّ له رضي الله عنهن.

اشتدت وطأة المرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت عائشة رضي الله عنها، وبدأت الحُمَّى تشتد عليه، وارتفعت حرارة جسمه صلى الله عليه وسلم.

قال أبوسعيد الخدري: يا رسول الله ما أشدها عليك - أي الحمى - فقال صلى الله عليه وسلم: "إنا كذلك يُضعَّف لنا البلاء ويُضعَّف لنا الأجر"

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصلي بالناس، فلما اشتد عليه المرض لم يستطع الخروج إلى المسجد، فأمر أبا بكر الصديق يُصلي بالناس.

أحس النبي صلى الله عليه وسلم بِخِفَّة، فخرج إلى المسجد مُتوكأ على الفضل بن العباس رضي الله عنه، وصعد المنبر، وخطب الناس وهي آخر خطبة خطبها صلى الله عليه وسلم.

فذكر صلى الله عليه وسلم في خطبته فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفضل الأنصار وأوصى بهم، وفضل أسامة بن زيد وأنه أَهْلٌ للإمارة.

وقع في دلائل النبوة للبيهقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض نفسه للقصاص في خُطبته، وهي رواية لا تثبت إسنادها ضعيف جداً.

وحَذَّر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من أن يتخذوا قَبره مسجداً، وأخبرهم أن شِرار الناس الذين اتخذوا قُبور أنبيائهم مساجد.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم لا تجعل قبري وثنـًا، لعن الله قومـًا اتخذوا قبور أنبيائهم عيدا". رواه أحمد.

قال ابن القيم: هذا نَهْيٌ منه صلى الله عليه وسلم لأمته أن يجعلوا قبره مجتمعـًا كالأعياد التي يقصد الناس الاجتماع إليها للصلاة.

ولم يزل النبي صلى الله عليه وسلم حريصـًا على أن يُصلي بالناس في المسجد مع ما به من شِدَّة الوجع حتى غلَبَهُ المرض، وأعجزه عن الخروج.

فعندها أمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يَؤُمَّ الناس في الصلاة، كما روى ذلك الشيخان في صحيحيهما.

قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام أوصى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بحُسن الظن بالله، فقال صلى الله عليه وسلم: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحْسن الظن بالله".

قال الإمام النووي: في هذا الحديث تحذير من القُنُوط، ومعنى حسن الظن بالله تعالى، أن يظن أنه يرحمه، ويعفو عنه.

وقبل وفاته صلى الله عليه وسلم بيومين، وَجَدَ النبي صلى الله عليه وسلم من نفسه خِفَّة، فخرج يُهادَى بين رجلين، ورِجلاه تخُطَّان في الأرض من شدة المرض.

وإذا بأبي بكر رضي الله عنه يُصلي بالناس فلما أحس أبو بكر رضي الله عنه به أراد الرجوع فأشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم أن مكانك، وجلس صلى الله عليه وسلم عن يسار أبي بكر رضي الله عنه.

أما صلاة عمر رضي الله عنه بالناس، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر". فهو حديث ضعيف رواه أحمد وغيره.

ولما كان يوم الأحد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيوم اشتد به صلى الله عليه وسلم المرض، فوصلت الأخبار إلى جيش أسامة رضي الله عنه فرجع إلى المدينة.

بات النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاثنين دَنِفـًا - يعني اشتد مرضه حتى أشرف على الموت - فلما طلع الفجر أصبح مُفيقـًا.

فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر حُجرته، ونظر إلى الناس وهم صفوف في الصلاة خلف أبي بكر الصديق، فتبسم لِمَا رأى من اجتماعهم.

قال أنس رضي الله عنه: كأن وجهه صلى الله عليه وسلم وَرَقَةُ مُصْحفٍ - هو عبارة عن الجمال البارع - فهممنا أن نَفْتَتن من الفرح برُؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه لم يَبْق من أمر النبوة إلا المُبشرات، وهي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن في منامه. .رواه مسلم

فلما رأى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصبح مُفيقا ظَنُّوا أنه قد بَرِئ من مرضه، فانصرفوا إلى منازلهم وحوائجهم مستبشرين.

واستأذن أبو بكر الصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى أهله في منطقة السُّنْح في عوالي المدينة، فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم.

فلما كان ضُحى يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة احدى عشرة من الهجرة، اشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه وجعل يتغشاه بأبي هو وأمي الكرب الشديد.

فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكَرْبَ أبتاه، فقال صلى الله عليه وسلم: "لا كَرْب على أبيك بعد اليوم، إنه قد حضر من أبيك ما ليس بتاركٍ منه أحداً".

وبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعالج سكرات الموت، وعائشة رضي الله عنها مُسندته صَدرها، وبين يديه صلى الله عليه وسلم إناء فيه ماء.

فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يُدخل يَدَيه في الماء فيمسح بهما وجهه، ويقول: " لا إله إلا الله إن للموت سكرات".

ثم نَصَبَ صلى الله عليه وسلم يَده، فجعل يقول: "في الرفيق الأعلى"، فَقُبض، ومالَتْ يده صلى الله عليه وسلم.

وفي رواية قالت عائشة رضي الله عنها: كنت مُسندته إلى صدري، فدعا بطَسْت، فلقد انْخَنَثَ – أي مال – في حِجْري، فما شعرت أنه مات.

وفي رواية الإمام أحمد قالت عائشة رضي الله عنها: فبينما رأسه صلى الله عليه وسلم على منكبي إذ مال رأسه نحو رأسي، فظننت أنه غُشي عليه.

وفي رواية أخرى قالت عائشة رضي الله عنها: قُبض النبي صلى الله عليه وسلم ورأسه بين سَحْري ونَحْري، فلما خَرَجت نفسه لم أجد ريحًا قط أطيب منها.

وكانت وفاته صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي ضُحى يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة احدى عشرة من الهجرة، وعمره ثلاث وستون سنة.

وشاع خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة، ونزل خبر وفاته صلى الله عليه وسلم على الصحابة رضي الله عنهم كالصاعقة، لشدة حُبِّهم له.

ودخل الصحابة على النبي صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة، ينظرون إليه، وقالوا: كيف يموت وهو شهيد علينا، ونحن شهداء على الناس.

وجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رآه، قال: واغَشَيَاه، ما أَشَدَّ غَشْي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم خرج عمر من عند النبي صلى الله عليه وسلم سالاً سيفه ويتوعد الناس ويقول: والله لا أسمع أحداً يقول: مات رسول الله إلا ضربته بالسيف.

وقال أيضا رضي الله عنه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى، والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما رجع موسى، فليقطعنَّ أيدي رجال وأرجُلَهم زعموا أنه مات.

وهكذا لم يتمالك عمر رضي الله عنه من هول مصيبة موت النبي صلى الله عليه وسلم.

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه غائبا لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ كان قد استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الذهاب لمنطقة السُّنْح.

فانطلق أحد الصحابة إليه، وأخبره خبر موت النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الناس في حال لا يعلمه إلا الله سبحانه.

فانطلق أبو بكر الصديق رضي الله عنه مُسرعـًا على فرسه حتى دخل المسجد النبوي، وإذا بالناس يَبكون، وعُمر رضي الله عنه شاهراً سيفه يُكلم الناس.

فَلَمْ يَلتفت أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى شيء من ذلك، ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مُسَجَّى على سريره، وكشف عن وجهه الطاهر.

وقال رضي الله عنه: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم أكبَّ عليه فقبله وهو يبكي، ويقول: طبت حيا وميتا يا رسول الله.

والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كُتبت عليك فقد ذُقتها، ثم لن يُصيبك بعدها موتة أبدا ثم غطى النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم خرج رضي الله عنه للناس، وهم ما بين منكر، وحائر من هول المصيبة، ورأى عمر رضي الله عنه وهو يُهدد ويتوعّد من يقول بموت النبي صلى الله عليه وسلم.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: على رِسلك - يعني مهلك – يا عمر، فأبي عمر رضي الله عنه أن يسكت فلما رآه لا ينصت أقبل أبوبكر رضي الله عنه على الناس.

وبدأ أبوبكر رضي الله عنه يخطب في الناس، فلما سمعوا كلامه أقبلوا عليه، وتركوا عمر رضي الله عنه.

فقال أبوبكر رضي الله عنه: "أيها الناس مَن كان يعبد محمداً فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت".

قال الله تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ}، قال ابن عباس رضي الله عنهما: والله لكأنَّ الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه.

وأخذ البكاء والنشيج في المدينة على موت النبي صلى الله عليه وسلم، ولم تَمر بالأمة مُصيبة أعظم من موت النبي صلى الله عليه وسلم.

فلما بُويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة، وذلك يوم الثلاثاء، أراد آل النبي صلى الله عليه وسلم غَسْله، واختلفوا في ذلك.

فقالوا: والله ما ندري كيف نَصنع، أنُجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نُجرد موتانا أم نَغْسِله وعليه ثيابه.

فأصابهم كلهم النُّعاس فناموا جميعا، وسُمِع صوتٌ يقول لهم: اغْسِلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه.

فلما استيقظوا، أخبر بعضهم بعضـًا بالذي سَمِعوا، فقاموا إليه، فَغَسَلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ملابسه بأبي هو وأمي.

وكان الذين وَلُوا غَسْل النبي صلى الله عليه وسلم: علي بن أبي طالب، والعباس، وأبناؤه: الفضل، وقُثم، وأسامة بن زيد، وشُقران مولى النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم

جميعا، فكان العباس والفضل وقُثم يُقلِّبون النبي صلى الله عليه وسلم، وأسامة وشُقران يَصُبَّان الماء، وعلي بن أبي طالب يَغْسِل النبي صلى الله عليه وسلم.

فلما فَرغوا من غَسْل رسول الله صلى الله عليه وسلم كُفِّن بأبي هو وأمي في ثلاثة أثواب بيض، ثم وُضِع النبي صلى الله عليه وسلم على سَريره في بيت عائشة رضي الله عنها.

ثم أُذِن للناس بالدخول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُصلُوا عليه، ولا يَؤمهم أحد، وهذا أمر مُجمع عليه ولا خلاف فيه.

فلما فَرغوا من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الصحابة يتشاورون أين يدفنونه، فاختلفوا في ذلك، فأرسلوا إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "ما قَبَض الله نَبيًّا إلا في الموضع الذي يُحب أن يُدفن فيه".

وحُفر قبر النبي صلى الله عليه وسلم في الموضع الذي مات فيه، وهو في بيت عائشة، ودخل قبر النبي صلى الله عليه وسلم العباس وعلي والفضل رضي الله عنهم، ووضَع شُقران مولى النبي صلى الله عليه وسلم في قبر النبي صلى الله عليه وسلم قَطيفة - أي كساء - حمراء، ثم أنزلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبره بأبي هو وأمي، وكان آخر الناس عهدا بالنبي صلى الله عليه وسلم هو قُثم بن العباس رضي الله عنه، وتم دفن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الأربعاء صلوات ربي وسلامه عليه.

وحزن الصحابة حزنـًا شديداً على وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، قال أنس رضي الله عنه: ما رأيت يومـًا قط أظلم ولا أقبح من اليوم الذي تُوفي فيه النبي صلى الله عليه وسلم.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

ورحم الله من نشرها